اليهود قوم بُهت

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية

العدد ١٦٥٢ السنة الخامسة والخمسون جمادى الأولى ١٤٤٧ هـ الثمن ١٠ جنيهات

تذكير أهل الصلاح بأسباب الفلاح

الربا وتحريم الشرائع له

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل؛ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

مطابع AC التجارية

السلام عليكم

بريد القراء

بريد القراء: أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، فضلًا عن البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تُفتح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيُرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحفية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم تجاهل الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة لا تصلح للنشر، والله الموفق.

التواصل على الوتساب:

٠١١١١٦٧٠٦٣٩ - ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

اليهود قوم بهت	الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
باب العقيدة	د. عبد الله شاكر	٨
أسباب الفلاح	د. محمد حامد	١١
النصح المبين للمربين والمدرسين	د. عبد القادر فاروق	١٥
باب السنة	د. جمال المراكبي	١٧
الإسلام والمرأة	الشيخ إبراهيم حافظ رزق	٢١
لا بأس بالغنى لمن اتقى	الشيخ عبده الأقرع	٢٤
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٢٨
الإمام دعلج ونقد المنهج الأعوج	د. أحمد بن سليمان أيوب	٣٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٣٤
الربا وتحريم الشرائع له	د. أيمن خليل	٣٨
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٤٣
نصرة الأمة وقوتها	د. محمد عبد العزيز	٤٧
مراحل تنزيل القرآن	الشيخ مصطفى البصراتي	٥٠
المحافظة على الأسرار	الشيخ صلاح نجيب الدق	٥٤
ورحل الشيخ عبد العزيز آل الشيخ		٥٧
الأسرة والتنشئة الدينية للطفل	د. محمد محمود العطار	٥٩
مشروعية الحجاب	د. سيد عبد العال	٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهما ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

اليهود قوم بُهت

إعداد فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله القائل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ» (التوبة: ١١٩). والصلاة والسلام على الصادق الوعد الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فإن ما يشاهده العالم اليوم من جرائم اليهود، خاصة في أهل فلسطين؛ من قتل وتجويع وتهجير، إلى غير ذلك، ليس بجديد عليهم. والشاهد على ذلك هو الكتاب والسنة؛ فقد ورد ذكر اليهود في القرآن والسنة في مواضع كثيرة كلها على سبيل الذم وبيان كفرهم وفضح مؤامراتهم، والتحذير من شرورهم وبيان شدة عداوتهم وفضح قبيح صفاتهم.

ومن قبيح صفاتهم: أنهم أهل بهتان وكذب، ولم يتوقف بُهتانهم وكذبهم على الخلق، بل تعداه إلى الخالق سبحانه، ومن ذلك نسبة أنفسهم إلى الله تعالى نسبة بنوة؛ «وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن

Upload by : altawhedmag.com

يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (المائدة: ١٨).

نقل الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّم جماعة منهم، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته؛ فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه؛ فنزلت الآية. ورحم الله الشيخ سيد طنطاوي فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: "وقالت طائفة اليهود التي تزعم أنها شعب الله المختار، وقالت طائفة النصارى التي تزعم أنها على الحق دون غيرهم، قالت كل طائفة منهما نحن في القرب من الله بمنزلة أبنائه المُدلَّلين وأحبابه المختارين: فلنا من الفضل والمنزلة والتكريم ما ليس لغيرنا من البشر، ومن كذبهم وافترائهم على الله تحريف الكلم عن مواضعه لإيهام الناس أن هذا كلام الله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨).

> لقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود بالحسنى ودعاهم إلى الإسلام دون إكراه حتى ظهر نقضهم للعهود وغدرهم.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن اليهود -عليهم لعائن الله- أن فريقًا منهم يُحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويُبدِّلون كلام الله، ويُزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله، وقد اتخذ اليهود سلاح الكذب والبهتان لخداع العالم وادعاء أن لهم حقًّا تاريخيًّا ودينيًّا في فلسطين عمره ألفي عام، ويزعمون أن حقهم في فلسطين جاء من أن أجدادهم من لدن إبراهيم واسحاق ويعقوب سكنوها، وكانوا من اليهود!!

وقد ردّ القرآن على زعمهم في أن إبراهيم كان يهوديًا كما زعمت النصارى أنه كان نصرانيًا، في حين أن اليهودية لم تظهر إلا بعد نزول التوراة، وكذلك النصرانية بعد نزول الإنجيل، وما نزلت التوراة والإنجيل إلا بعد الخليل إبراهيم بزمن طويل؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٥)".

نقل القرطبي قول الزجّاج أن هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى؛ إذ التوراة والإنجيل أُنزلا من بعده، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب، ويقال كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى أيضًا ألف سنة؛ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ دُحوض حجتكم وبطلان قولكم.

ثم بيّن الله دين إبراهيم عليه السلام، وأنه دين مَن في السماوات ومن في الأرض، وهو الإسلام، فنفى عنه اليهودية والنصرانية والإشراك؛ فقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٧). وقد أنكر الله عليهم دعواهم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب أجدادهم كما يقولون على ملة اليهودية أو النصرانية؛ فقال سبحانه: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

وقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود

Upload by : altawhedmag.com

بالحسنى ودعاهم إلى الإسلام دون إكراه حتى ظهر نقضهم للعهود وغدرهم، وبالرغم من غدرهم وخيانتهم ونزوله بساحتهم منتصرًا مؤيدًا؛ فقد أمر بدعوتهم إلى الإسلام قبل أن يدخل حربًا معهم، فقد ورد في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر: «انفذ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم؛ فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حمر النعم».

وكان ممن هداهم الله للإسلام واحد من علمائهم وأحبارهم وهو عبدالله بن سلام رضي الله عنه، والذي أسلم دون أن يُخبر قومه، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن اليهود قوم بُهت، وأدل دليل على ذلك: كلامهم عنه قبل إسلامه، وكذبهم عليه في الساعة ذاتها بعد إسلامه؛ فقد روى البخاري من حديث أنس قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أيّ شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أيّ شيء ينزع الولد إلى أخواله؟ فقال رسول الله... أخبرني بها جبريل، فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبهة في الولد فكان الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيّ رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا، وفي رواية: وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال رسول الله: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فقالوا شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه.

> تنحط دركات الكذب بالكذب على الله ورسوله، ثم بالكذب على أهل العلم والفضل، ثم رمي الناس بما ليس فيهم.

إلا فليحذر المسلمون من الوقوع في الكذب الذي هو صفة لازمة لليهود، فإنه من أقبح الصفات، وأن الكذب مُؤدّاه إلى الفجور الذي يُوصل إلى النار، فقد ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا».

وتنحط دركات الكذب بالكذب على الله ورسوله، ثم بالكذب على أهل العلم والفضل، ثم رمي الناس بما ليس فيهم.

فنعوذ بالله من الكذب والخوض في أعراض الناس، ونسأله تعالى أن نكون مع الصادقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

منزلة المرأة في الإسلام:

عن أم عمارة الأنصارية -رضي الله عنه- أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية: «إن المسلمين والمسلمات» الآية (صحيح الترمذي: ٣٢١١)؛ جبرًا لخاطرهن، وتطييبًا لقلوبهن، وليعلمن أنه لا فرق بين الرجل والمرأة، ولا بين الذكر والأنثى في جزاء الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧). وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠)، والأصل في التكاليف الشرعية أن النساء شقائق الرجال، وأنهن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين وإن لم يصرح بذكرهن، إلا ما قام الدليل على اختصاصه بالرجال.

وقد تضمنت هذه الآية الركائز التي تقوم عليها الشخصية المسلمة، وهي العقيدة، والعبادة، والأخلاق.

١- العقيدة أولًا:

وقد بدأت بالعقيدة أولًا لأنها الأساس الذي يُبنى عليه غيرُه، ولا يُقبل عملٌ إلا به، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد: ١١- ١٧)، فإن لم يكن من الذين آمنوا حبط عمله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف: ١٠٣- ١٠٥). وفي صحيح مسلم: «باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في

Upload by : altawhedmag.com

الجاهلية، يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (صحيح مسلم ٢١٤).

حقيقة الإسلام والإيمان:

والعقيدة تتمثل في الإيمان بالله، والاستسلام له، ولذلك قال تعالى: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات». وقد اختلف العلماء في الإسلام والإيمان هل هما بمعنى واحد؟ أم مختلفان؟ والراجح أنهما مترادفان، لقوله تعالى عن آل لوط: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ۝ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» (الذاريات: ٣٥-٣٦). ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد.

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بما فسر به الإسلام، ففي حديث عمر -رضي الله عنه- في سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» (صحيح مسلم: ٨). وفي الصحيحين: عن ابن عباس -رضي الله عنهم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتعطوا من المغنم الخمس» (صحيح البخاري: ٥٣).

وقد يعترض على ذلك بقوله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» (الحجرات ١٤)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أو مسلم» لمن قال: «فلان مؤمن» (صحيح البخاري ٢٧).

وقد أجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن الأسماء تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد، والتجريد والاقتران، تارة يكونان إذا أفردا أحدهما أعم من الآخر، وتارة يكونان متساويين، ومن ذلك البر والتقوى، والإثم والعدوان، والفقير والمسكين.

فالبر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: «إن الأبرار لفي نعيم» (الانفطار: ١٣)، وقوله تعالى: «ولكن البر من اتقى» (البقرة: ١٨٩). فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر، ثم قد يجمع بينهما، كما في قوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى» (المائدة: ٢).

كذا لفظ «الإثم» إذا أطلق دخل فيه كل ذنب، وقد يقرن بالعدوان، كما في قوله تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» (المائدة: ٢).

وكذا لفظ «الفقير» إذا أطلق دخل فيه المسكين، وإذا أطلق لفظ المسكين دخل فيه لفظ الفقير، وإذا فرق بينهما فأحدهما غير الآخر.

فكذلك الإسلام والإيمان، إذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإيمان مع الإسلام فالإسلام الظاهر، والإيمان الباطن. (كتاب الإيمان لابن تيمية: ص١٠و١٢).

كما هو مشهور في حديث جبريل: قال: أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (صحيح مسلم: ٨).

٢-طاعة الله ورسوله:

فإذا آمن المرء بالله، وأسلم له، وجب عليه أن يطيعه في كل ما يأمر به وينهى عنه. ولذلك عطف القنوت على الإسلام والإيمان، فقال تعالى: «والقانتين والقانتات» أي: المطيعين والمطيعات.

وطاعة الله ورسوله واجبة، ومعصية الله ورسوله محرمة، وقد كثر في القرآن الكريم الأمر بالطاعة وبيان ثوابها، والنهي عن المعصية وبيان

Upload by : altawhedmag.com

عقابها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (النساء: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ (محمد: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ (النور: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

٣- الصدق:

والإيمان لغة: التصديق، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧)، فالمؤمن صادق مصدق، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ (الحديد ١٩).

فالصدق من صفات المؤمنين، والكذب من صفات الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (صحيح أبي داود: ٤١٧٦).

ولقد بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق والحث عليه أن أمر المسلمين أن ينشئوا صبيانهم من الصغر على الصدق، فإذا وعد الأب ولده وجب عليه أن يفي بوعده، وإن أخبره خبرا وجب عليه أن يصدقه، حتى ينشأ الصغار من صغرهم على الصدق: عن عبد الله بن عامر -رضي الله عنه- أنه قال: دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة» (صحيح أبي داود: ٤١٧٥).

كما بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق أنه لم يبح الكذب حتى في المزاح:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له» (صحيح أبي داود: ٤١٧٦).

كما بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق أن حث أتباعه على الصدق في كل معاملاتهم، وفي بيعهم وشرائهم: عن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما» (صحيح البخاري: ٢٠٧٩).

٤- الصبر:

ومن صفات المؤمنين الصبر، «والصابرين والصابرات»، وقد أمرهم الله به، ورغبهم فيه، فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (آل عمران: ٢٠٠)، وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين» (البقرة: ١٥٣).

وبين سبحانه أنه يضاعف للصابرين أجرهم، فقال تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» (الزمر: ١٠).

وبين سبحانه أن الصبر جنة من الأعداء، فقال تعالى: «وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا» (آل عمران: ١٢٠).

وبين أن الصبر سبب للمدد بالملائكة، فقال تعالى: «بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» (آل عمران: ١٢٥).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

ذمُّ البِدع وبيانُ سوءِ مُنقَلَبِ أهلها

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. وبعد: لقد تكلمنا في المقال السابق عن المصالح المرسلة وفرقنا بينها وبين البدعة وأنه حدث خلط عجيب بينها وبين البدعة لدى بعض المنتسبين للعلم بإنزالها منزلة المصالح المرسلة لتبرير الابتداع وتحسين الضلالات وصرف الناس عن الحق. لذا كان من المناسب ان نتكلم في هذه المقالة عن ذمّ البدع، وبيان سوء مُنقلب أهلها.

النظر الصحيح يدل على ذم البدع من وجوه:

لا خفاءَ أن البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها؛ لأن اتباعها خروجٌ عن الصراط المستقيم، وتوضيح ذلك من جهة النظر كما يلي:

الوجه الأول:

أنه قد عُلم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلى اليوم، أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلابًا لها، أو مفاسدها استدفاعًا لها؛ لأنها إما دنيوية أو أخروية.

فأما المصالح الدنيوية: فلا يستقل- أي: العقل- باستدراكها على التفصيل البتة لا في ابتداء وضعها أولًا، ولا في استدراك ما عسى أن يعرض في طريقها.

وأما المصالح الأخروية: فأبعد عن مصالح العقول من جهة وضع أسبابها، وهي العبادات مثلًا، فإن العقل لا يشعر بها على الجملة فضلًا عن العلم بها على التفصيل، ومن جهة تصور الدار الأخرى وكونها آتية، فلابد وأنها دار جزاء على الأعمال، فإن الذي يدرك العقل من ذلك هو مجرد الإمكان والشعور بها، ولا يغترن ذو الحجا بأحوال الفلاسفة المدعين لإدراك الأحوال الأخروية بمجرد العقل قبل النظر في الشرع، فإن دعواهم بألسنتهم في المسألة بخلاف ما عليه الأمر في نفسه؛ لأن الشرائع لم تنزل واردةً على بني آدم من جهة الرسل، والأنبياءُ

Upload by : altawhedmag.com

أيضًا لم يزالوا موجودين في العالم، وهم أكثر من المرسلين، وكل ذلك من لدن آدم عليه السلام إلى أن انتهت بهذه الشريعة المحمدية.

فعلى الجملة: العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي، فالابتداع مضادٌ لهذا الأصل؛ لأنه ليس له مستند شرعي بالفرض، فلا يبقى إلا ما ادعوه من العقل، فالمبتدع ليس على ثقة من بدعته أن ينال بسبب العمل بها ما رام تحصيله من جهتها، فصارت كالعَبَث.

الوجه الثاني:

أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأن الله تعالى قال فيها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مُودع، فما تعهد إلينا؟ قال: تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الراشدين من بعدي...» إلى آخر الحديث.

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة.

فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها. لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع، ولا استدرك عليها. ولا شك أن قائل ذلك ضالٌ عن الصراط المستقيم.

الوجه الثالث:

أن المبتدع معاندٌ للشرع، ومشاقٌ له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقًا خاصةً على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها، إلى غير ذلك؛ لأن الله عز وجل يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين. فالمبتدع رادٌ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثَمَّ طرقًا أخر ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم، بل ربما يُفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصودًا للمبتدع، فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين.

الوجه الرابع:

أن المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشرع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس، ولاحتيج إلى بعث الرسل- عليهم السلام- هذا الذي ابتدع في دين الله قد صيّر نفسه نظيرًا ومضاهيًا للشارع، حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف بابًا، وردَّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع، وكفى بذلك بدعةً وضلالًا.

الوجه الخامس:

أنه اتباع للهوى؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعًا للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى، وأنه ضلال مبين، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)؟ فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردًا؛ إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك. وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨). فجعل الأمر محصورًا بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى. وقال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠). وهي مثل ما قبلها.

وبهذه الوجوه التي ذكرناها، يتبين لنا أن النظر الصحيح والعقل الصريح يذم البدعة، ولا شك في ذلك.

- بعض ما جاء في القرآن الكريم في ذم من ابتدع في الدين:

جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على ذم من ابتدع في دين الله في الجملة، ومن ذلك: قول الحق- جل ذكره-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ

Upload by : altawhedmag.com

مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧).

فهذه الآية من أعظم الشواهد على ما نريد أن نستدل عليه، وقد جاء في الحديث تفسيره، فصح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال: فإذا رأيتيهم، فاعرفيهم». وصح عنها أنها قالت: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى آخر الآية: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، ومن الآيات التي جاءت وفيها ذم للبدع والابتداع في دين الله، وهي من الأدلة الواضحة في هذا الأمر، ما جاء في قول الحق- تبارك وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل: هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاص لم يضعها أحد طريقًا تسلك دائمًا على مضاهاة التشريع، وانما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات.

- بعض ما جاء في الأحاديث النبوية في ذم البدع وأهلها:

وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذم البدع والاحداث في دين الله.

ومن ذلك:

ما جاء في (الصحيح): من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد».

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد». وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام؛ لأنه جمع وجه المخالفة لأمره عليه السلام ويستوي في ذلك ما كان بدعة أو معصية.

وخرج مسلم عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

والأحاديث في ذلك كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- بعض ما جاء عن السلف الصالح في ذم البدع وأهلها:

جاء عن الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم أمورًا كثيرة وأقوالًا متعددة في ذم البدع وأهلها.

ومما جاء في ذلك عن الصحابة: ما صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس؛ فقال: «أيها الناس، قد سُنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا». وصفق بإحدى يديه على الأخرى- يعني: وضعهما على الأخرى- ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا...» إلى آخر الحديث.

وفي (الصحيح): عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا». يعني: أنكم يا أيها القراء، لما استقمتم وسلكتم الطريق المستقيم، سبقتم غيركم سبقًا بعيدًا. وروي عنه- أي: عن حذيفة رضي الله عنه من طريق آخر: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الخلق، فيقول: «يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا». وفي رواية ابن المبارك: «فوالله، لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا».

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تذكير أهل الصلاح بأسباب الفلاح

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن كلمة "الفلاح" من أجمل ما تستمع إليه الآذان، ويرغب فيه الإنسان.

إنَّنا لنتلقى عند دخول أوقات الصلوات الخمس تلكم العبارة الجليلة والجملة العظيمة (حيَّ على الفلاح حي على الفلاح)؛ فما أجملها من كلمات! وما ألذها حين تلهج بها الأصوات!

إنها دعوة إلى الفلاح الذي هو سبيل أهل الصلاح في المساء والصباح.

أجل. إن كلمة الفلاح تفوح بالخيرات، وتكاد تفوق غيرها من كلمات في الدلالة على السعادة في الدنيا والآخرة، وإحراز النصيب الأوفى في الدارين.

إن الفلاح نجاح وأي نجاح؟!

إن النجاح قد يكون في موضع دون موضع، ووقت دون وقت، وأما الفلاح فالأصل فيه أنه أعم وأوسع زمانًا ومكانًا، وفي أصله اللغوي دلالة على معنى البقاء، وهذا مُؤذِنٌ بأنه فلاح أخروي كما أنه فلاح دنيوي.

وذلك أن الفلاح-كما قال الراغب في مفرداته (صـ٦٤٤)- هو: "الظَّفَرُ وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيويّ وأخرويّ، فالدّنيويّ: الظّفر بالسّعادات التي تطيب بها حياة الدّنيا، وهو البقاء والغنى والعزّ.... وفلاحُ أخرويّ، وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ

Upload by : altawhedmag.com

بلا ذلّ، وعلم بلا جهل".

وفلاح الآخرة كما لا يخفى أعظم، وأشمل، وأعمّ وأكمل.

قال تعالى: «وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ» (الأعراف: ٨- ٩)، وقال تعالى: «فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» (المؤمنون: ١٠٢-١٠٣).

إن المتأمل-أيها الأخ الكريم- في آيات الذكر الحكيم ليجدُ أنّ مادة "أفلح"، وتصريفاتها قد تكررت في القرآن الكريم كثيرًا؛ حيث وردت في أربعين موضعًا منه، كان الحديث في أكثرها عن المفلحين، وأسباب فلاحهم، ووردت مواضع أخرى منه في بيان أسباب الحرمان من الفلاح.

والكلام في بيان أسباب الفلاح وحرمانه في ضوء القرآن الكريم يطول، والمناسب للمقام هنا ذكر طرف يسير عن أبرز أسباب الفلاح لنسعى إليها، ونعمل بها، وأشهر أسباب الخسران والحرمان من الفلاح؛ لنحذر منها، ونتجنبها.

ودونك-بإيجاز- بعض أسباب الفلاح دون قصد الاستيعاب

تقوى الله عز وجل

من أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة التقوى، وذلك بلزوم أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها.

قال تعالى في عدة مواضع من كتابه العزيز: «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (البقرة:١٨٩، وسورة آل عمران: ١٣٠، و٢٠٠).

وقال تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة:١٠٠).

فإذا اتقى العبد ربه، وأحبه وأطاعه سبحانه، ولم يجترئ على معصيته أفلح في الدنيا والآخرة.

وقد قرن الله بين التقوى، وما يكون عونا عليها من محبة الله والتقرب إليه بطاعته في قوله جلّ ذكره: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة:٣٥)، والوسيلة هي القربة وسبب النجاح في المراد، وقيل: هي المحبة وهو قول ابن زيد (ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤٤/١)).

وأوضح سبحانه أنّ في اجتناب معاصيه كشرب المسكرات الفلاح فقال عز من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة:٩٠).

حقًا، إن التقوى تعني السمع والطاعة لله عز وجلّ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبهذا يفلح العبد، ويفوز في دنياه وأخراه. قال سبحانه: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» (النور:٥١-٥٢).

فعل الخير

من أسباب فلاح العبد فعله الخير، وحرصه عليه قال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الحج: ٧٧).

وقوله عز وجل: «وافعلوا الخير»: "أمر بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة، وحسن المعاملة كصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق، وهذا مجمل بينته وبينت مراتبه أدلة أخرى" (التحرير والتنوير ٣٤٦/١٧)).

وهي جملة توحي بأن العبد حريّ به قبل أن يفعل فعلاً أن ينظر فيه أخير هو أم لا؟ فإن كان

Upload by : altawhedmag.com

خيرًا أقدم عليه، وسارع فيه، واستبق إليه، وإن كان بخلاف ذلك أحجم عنه، ونأى بنفسه عنه.

ذكر الله عز وجل، وشكره على آلائه

إن ذِكْر الله خير مفتاح لتحقيق الفلاح قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الأنفال:٤٥)، وفي هذه الآية الكريمة دلالة على أن ذكر الله سبحانه سبيل النجاح، والظفر بالأعداء، وهي "تعريف من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم" (جامع البيان للطبري (٢١٣/١١)).

قال قتادة: "افترض الله عز وجل ذكره على عباده، أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف".

قال الألوسي في روح المعاني (٢١٠/٥): "وفي الآية تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر مولاه سبحانه، وذكره جل شأنه في مثل ذلك الموطن من أقوى أدلة محبته جل شأنه، ألا ترى من أحب مخلوقا مثله كيف يقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تشرب من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
برقت كبارق ثغرك المتبسم

والحاصل أن ذِكْر الله طريق فلاحك فلا تغفل عنه في جميع أحوالك؛ ألا ترى أن الله سبحانه لما أذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة في الانتشار في الأرض، وابتغاء فضله نوه بالذكر وفضله؛ ليدلنا على أنه غير مقصور على وقت الصلاة، أو في داخل المسجد، وإنما هو في مطلق الأوقات، وعموم الأحوال.

قال تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة:١٠). وقال سبحانه: «ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» (آل عمران:١٩١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه» (أخرجه البخاري معلقا، ووصله مسلم في صحيحه (حديث٣٧٣)).

ومن صور ذكر الله عز وجل شكره سبحانه، وذكر آلائه قال تعالى: «فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الأعراف:٦٩).

تزكية النفس

من أعظم سبل الفلاح تزكية العبد نفسه، وتطهيرها من كل رديء وسيئ، وتحليتها بكل جميل وحسن. قال تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩، وسورة التغابن:١٦).

قال السعدي (في تفسيره صـ٨٥٠): "ووقاية شح النفس يشمل وقايتها الشح في جميع ما أُمرت به، فإنه إذا وُقِيَ العبد شُحَّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا، منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبًا للنفس تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم

Upload by : altawhedmag.com

يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته".

عن أبي الهياج قال: رأيت شيخًا يطوف بالبيت وهو يقول: "رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي"، لا يزيد عليه، فسألت عنه، فقيل: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فأتيته فذكرت ذلك له، فقال: "إني إذا وقيت شح نفسي وقيت السرقة والخيانة، وغير ذلك" (أخبار مكة للفاكهي(٤١٥)).

وعن تزكية النفس قال الله تعالى أيضا: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشمس:٧-١٠)، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى:١٤).

التوبة الصادقة

من أسباب الفلاح: التوبة النصوح الصادقة، وذلك أن العبد لا ينفك عن تقصير وخطأ وعجز وتفريط، وذلك موجب للتوبة النصوح التي تجبُّ كل ذلك، ولذلك كانت التوبة أول طريق العبد وأوسطه وآخره.

قال الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١).

قال القرطبي في تفسيره (١٢/٢٣٨): "والمعنى: وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال".

أيها الموفق الكريم: هذه بعض أسباب الفلاح، وغيرها كثير، وإني ناصح لك حبًا ورفقًا أن تقرأ بإمعان، وتتدبر بلا توانٍ فواتح السور القرآنية التي ضمنها الله عز وجل بعض أسباب الفلاح (فاتحة سورة البقرة، وسورة المؤمنون، وسورة لقمان)؛ فإنك واجد فيها ما يسرك من صفات أولئك المفلحين الذين أسأل الله الكريم أن نكون منهم.

وختامًا أقول لك: كما أن للمفلحين أوصافًا فإن للمحرومين من الفلاح أوصافًا أثبتها الله في القرآن؛ لنتجنبها، ونتأى بأنفسنا عنها.

وإن تعجب فعجب من سورة المؤمنون التي افتتحها رب العباد بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١)، وفي خاتمتها قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون:١١٧)؛ لتعلم أنه ينبغي للمؤمن أن يبحث عن أسباب فلاحه، ويحذر من أسباب حرمانه.

ومن أشهر أوصاف المحرومين من الفلاح: الكفر، والظلم، والإجرام، وافتراء الكذب على الله عز وجلَّ.

قال عز وجل في نهاية قصة قارون: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص:٨٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام:٢١، و١٣٥، وسورة يوسف:٢٣، وسورة القصص:٣٧).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس:١٧)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (يونس:٦٩-٧٠).

هذه بعض أسباب الحرمان من الفلاح، وعنوانها معصية الله الفتاح، عافانا الله من ذلك، ورزقنا طاعته. اللهم قنا شح أنفسنا، واجعلنا من المفلحين.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

النُّصح المُبين للمُربين والمُدرسين

إعداد
د. عبد القادر فاروق
موجه عام الأزهر الشريف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد:

فهذه بعض النصائح المهمة للمربين والمدرسين بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد الذي نسأل الله تعالى أن يكون عام نجاح وتوفيق لكل أبناء المسلمين، وأن يجعل نجاحهم عونًا لهم على طاعة ربهم سبحانه وتعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه. اللهم آمين.

١- على المربين والمدرسين أن يغرسوا في نفوس الأولاد العقيدة الصحيحة، وأن يربوهم على التوحيد الخالص لله تعالى منذ نعومة أظفارهم، وأن يُحفِّظوهم معنى لا إله إلا الله؛ أي لا معبود بحق إلا الله.. مع إرشادهم إلى أداء الفرائض، والمداومة على ذكر الله تبارك وتعالى، خاصة أذكار الصباح والمساء وغيرها.

ودليل تعليم الأطفال منذ الصغر حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومًا فقال لي: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله".... الحديث رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

ودليل تعليم الأطفال الحرام والحلال: ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "كخ كخ ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة". فالصدقة لا تجوز لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته. فلم يقل هذا طفل صغير، بل قام بتعليمه.

٢- على المربين والمدرسين تربية الأولاد على الإخلاص والجد والعزيمة والصبر وحسن الفهم والمذاكرة أملاً في الحصول على العمل النافع في خدمة المسلمين ونفعهم واسعادًا للوالدين وحرصًا على تقدم وطنه وأمته الإسلامية. وبهذه النية يؤجر الجميع بإذن الله ولا تقتصر خدمة المسلمين على الوظيفة بل كل يخدم في مجاله وحرفته والحرفة أمان من الفقر؛ لأنها سبب في التكسب والرزق.

٣- الحرص على أداء الصلوات في وقتها فكثير من الآباء يحرص على ذهاب أولاده للمدرسة مبكرًا، لكن لا يهتم بأدائهم لصلاة الصبح قبل نزولهم من البيت وذهابهم للمدرسة، فليس إدراك موعد المدرسة أهم من إدراك وقت الصلاة. فمن سجد لله وتضرع له يرجى له التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

٤- الاهتمام بزي البنات المدرسي وحجابهن الشرعي، فكثيرًا من البنات يلبسن البنطلون والملابس المعطرة والقصيرة والشفافة والضيقة، وهذه الأمور محرمة، والحجاب واجب لقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ» (الأحزاب: ٥٩) وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي يغطين بها وجوههن وصدورهن. ثم ذكر حكمة ذلك فقال: «ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الأحزاب: ٥٩)، دل ذلك على وجود أذية إن لم يحتجبن، وربما ظن أنهن غير عفيفات فيتعرض لهن من في قلبه مرض فيؤذيهن...." (تفسير السعدي: صـ ٦١٨).

Upload by : altawhedmag.com

ولجنة الفتوى بالأزهر الشريف قامت بالرد على القرار رقم ١١٣ الصادر من وزير التعليم في ١٩٩٤/٥/١٧م بشأن مواصفات الزي المدرسي. وقالت ما نصه: "الزي المفروض على طالبات المدارس معارض لأمر الله شكلًا وموضوعًا وتشريع مضاد لما أمر الله عز وجل به". وللاستزادة راجع مجلة الأزهر ص٢٧٥ عدد ربيع الأول ١٤١٥هـ أغسطس / سبتمبر ١٩٩٤م. (وفتوى اللجنة الدائمة في حكم لبس البنطلون مجلة التوحيد عدد جُمادى الآخرة سنة١٤٢٢هـ صـ٥٢).

٥- الصداقة مهمة في حياة الإنسان، لذلك لا بد من حسن اختيار الطالب لصديقه، والطالبة لصديقتها؛ لأن المقصود من الصداقة التذكير بالله تعالى والتعاون على الخير، قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢)، وقال تعالى في سورة الزخرف «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٦٧)، وصديق السوء وصديقة السوء شعارهم الفساد والإفساد، والصداقة بين الشباب والفتيات حرام ولا تجوز.

٦- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات في الفصول المدرسية. قال الشيخ ابن باز رحمه الله قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» (الأحزاب: ٥٣)، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" متفق عليه.

وكان النساء في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق، الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذرًا من الفتنة، بل كان النساء في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" رواه مسلم.

٧- الحرص على الوقت وعدم إضاعته فيما لا ينفع كمشاهدة التلفاز؛ لأنه ضياع للوقت والعمر وفيه فساد الدين والخُلق والسلوك ويسبب بلادة الذهن ويؤدي إلى الفشل ويبعد عن التفوق والنجاح في الدنيا والآخرة.

٨- توافر القدوة الصالحة من المدرسين والمدرسات والمربين والمربيات؛ لأن الطفل مقلد لما يراه خيرًا أو شرًا، وقد يحصل التناقض إذا رأى الطالب المدرس يدخن السجائر ووالده لا يدخن، أو أن الطالبة ترى مدرستها متبرجة ووالدتها مرتدية للحجاب الشرعي، ففي هذه الحالة لا تكون المدارس عونًا للبيوت في التربية؛ وكما قال أحد السلف: "لا تأتمن عاصيًا فقد خان أول مُنعم عليه"، والله المستعان.

٩- بعض الآباء يمنع أولاده من الاستمرار في حفظ القرآن الكريم بحجة دخول الموسم الدراسي، وأن الطالب لا يستطيع التوفيق بين مذاكرة المواد الدراسية وحفظ القرآن الكريم، والصحيح أن حفظ القرآن الكريم أصل العلم، وأهم من المواد الدراسية، والقرآن خير مربٍ؛ لأن فيه بيانًا للعقيدة الصحيحة والعبادات والأخلاق والسلوك والمعاملات، والاستمرار في حفظ القرآن الكريم في فترة الدراسة لا يتعارض معها، ولو بآيات يسيرات يوميًا؛ لما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ".

١٠- متابعة المناهج الدراسية؛ لأنه قد يكون فيها أخطاء فيجب تصحيحها، ولا بد من الرقابة على ما يقرؤونه من مجلات أو قصص؛ فقد تدعو إلى الفتنة، فلا بد من الحذر والاحتياط، وأن يكون الاستخدام قاصرًا على الاستفادة من الناحية الدينية ومن الناحية العلمية في المجالات المختلفة.

١١- يجب على المربين والمدرسين أن يبتعدوا عن السب والشتم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" متفق عليه.

١٢- يجب أن يكون داخل الأسرة ضوابط شرعية فلا بد من تعليم الأطفال الاستئذان على الأبوين كما أمر الله تعالى في سورة النور، وعدم ظهور الآباء والأبناء بسراويل قصيرة فوق الركبة؛ أو ما شابه ذلك لأن الفخذ عورة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

شهادة الملائكة للمؤمنين

إعداد: د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه والتابعين، وأما بعد: فإن الملائكة عليهم السلام هم عباد الله المقربون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويعبدون الله لا يفترون، خلقهم الله فأحسن صورهم وأشكالهم، وكلفهم بأعمال ومهمات، وجعل لهم مناصب شريفات تتعلق بالوحي وبأعمال بني آدم، وهذا ما سنوضحه في هذه الأسطر بإذن الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إنَّ للَّه مَلائكةً يَطوفُونَ في الطُّرقِ يلتمسُونَ أهلَ الذِّكرِ، فإذا وجَدُوا قومًا يَذْكُرونَ اللَّهَ تنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجتِكُمْ

قالَ: فيَحُفُّونَهُمْ بأجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنيا

قالَ: فيَسألُهُمْ ربُّهُمْ - وهو أعلَمُ منهمْ - ما يقولُ عِبادي؟

قالوا: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ

قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْني؟

قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ

قالَ: فيقولُ: وكيفَ لو رَأَوْني؟

قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشدَّ لكَ عبادةً، وأشدَّ لكَ تَمْجيدًا وتَحْميدًا، وأكثرَ لكَ تَسْبيحًا

قالَ: يقولُ: فما يَسألُوني؟

قالَ: يَسألُونَكَ الجنَّةَ

قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟

قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا ربِّ ما رَأَوْها

قالَ: يقولُ: فكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟

قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشدَّ عليها حِرْصًا، وأشدَّ لها طَلَبًا، وأعْظَمَ فيها رَغْبَةً

قالَ: فمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟

قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ

Upload by : altawhedmag.com

قالَ : يقولُ : وهل رأوها؟

قالَ : يقولونَ : لا واللَّه يا ربِّ ما رأوها

قالَ : يقولُ : فكيف لو رأوها؟

قالَ : يقولونَ : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشدَّ لها مخافةً

قالَ : فيقولُ : فأشهدُكُمْ أنِّي قدْ غفرْتُ لهمْ

قالَ : يقولُ ملكٌ من الملائكةِ : فيهم فلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لحاجةٍ

قالَ : هُمُ الجُلساءُ لا يشقى بهمْ جليسُهُمْ .

رواه البخاري ومسلم

وروى الترمذي : كتاب الدعوات

باب ما جاء إن لله ملائكة سياحين في الأرض

عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنَّ للَّهِ ملائكةً سيَّاحينَ في الأرضِ فضلًا عن كتَّابِ النَّاسِ

فإذا وَجدوا أقوامًا يذكُرونَ اللَّهَ تنادوا : هلمُّوا إلى بُغيتِكُم

فيجيئونَ فيحفُّونَ بهم إلى السَّماءِ الدُّنيا

فيقولُ اللَّهُ : أيَّ شيءٍ تركْتُمْ عبادي يصنعونَ

فيقولونَ : تركْناهم يحمَدونكَ ويمجِّدونكَ ويذكرونكَ

قالَ : فيقولُ : هل رأوني ؟

فيقولونَ : لا

قالَ : فيقولُ : كيفَ لو رأوني؟

قالَ : فيقولونَ : لو رأوكَ لكانوا أشدَّ تحميدًا، وأشدَّ تمجيدًا، وأشدَّ لكَ ذكرًا

قالَ : فيقولُ : وأيُّ شيءٍ يطلبونَ؟

قالَ : فيقولونَ : يطلُبونَ الجنَّةَ

قالَ : فيقولُ : فهل رأوها؟

قالَ : فيقولونَ : لا

قالَ فيقولُ : فكيفَ لو رأوها؟

قالَ : فيقولونَ : لو رأوها؟ لكانوا أشدَّ لها طلبًا، وأشدَّ عليها حرصًا

قالَ : فيقولُ : فمن أيِّ شيءٍ يتعوَّذونَ؟

قالوا : يتعوَّذونَ منَ النَّارِ

قالَ : فيقولُ : فهل رأوها؟

فيقولونَ : لا

فيقولُ : فكيفَ لو رأوها؟

فيقولونَ : لو رأوها لكانوا أشدَّ منها هربًا، وأشدَّ منها خوفًا، وأشدَّ منها تعوُّذًا

قالَ : فيقولُ : فإنِّي أشهدُكُم أنِّي قد غفرتُ لهُم

فيقولونَ : إنَّ فيهم فلانًا الخطَّاءَ لم يُردهُم إنَّما جاءَهُم لحاجةٍ

فيقولُ : همُ القومُ لا يشقى لهُم جليسٌ

قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه

صححه الألباني : صحيح الترمذي

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين في الأرض يُبلِّغوني من أمَّتي السَّلام».

صحيح رواه النسائي وأحمد والدارمي

أنواع الملائكة ووظائفهم :

تُصنَّف الملائكة حسب وظائفهم وأعمالهم الموكلة إليهم إلى أنواع كثيرة .

ورؤساؤهم : جبريل الموكل بالوحي من الله إلى الأنبياء والرسل.

وميكائيل : الموكل بأمور المطر والنبات والرزق.

واسرافيل : الموكل بالنفخ في الصور يوم القيامة.

وحملة العرش

وخزنة الجنة .. وخزنة النار ورئيسهم مالك

وملائكة الجبال والمطر والسحاب : الموكلون بهذه الظواهر الكونية.

ومنهم ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح. وله أعوان من الملائكة.

والملكان الموكلان بسؤال الميت في قبره.

والملائكة الحفظة : الموكلون بحفظ الإنسان في

Upload by : altawhedmag.com

يقظته ومنامه وحالاته المختلفة.

والكرام الكاتبون : يكتبون أعمال الانسان ، من خير وشر

والملائكة السياحون: الذين يسيحون في الأرض لاتباع مجالس الذكر وهم المعنيون في هذا الحديث

والملائكة الساجدون العابدون إلى يوم القيامة يقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك

فالملائكة أعظم جنود الله تعالى تحدث عنهم ربهم فوصفهم بأجل الأوصاف فهم : « وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا » (الصافات:١-٣).

« وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا » (المرسلات: ١-٥).

« وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا » (النازعات:١-٥)

منهم الصافون، ومنهم المسبحون، وأعلاهم الذين هم عنده سبحانه : (لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ) (الأنبياء: ١٩- ٢٠).

« وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ » (الزمر:٧٥)

« ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ » (غافر:٧)

ليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله ، وهم ينفذون أمره :

« عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ » (الأنبياء: ٢٦ - ٢٨).

« يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ » (النحل: ٥٠)

« لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ »

(التحريم: ٦).

شرح الحديث :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" في الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين . وفضل الاجتماع على ذلك . وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر " انتهى .

وهاهنا سؤال : لماذا غفر الله لهذا العبد الخطاء الذي جاء لحاجة ولم يجيء للذكر والاستغفار ؟ أين نيته وقصده ؟ أين إخلاصه وصدقه؟

والجواب : الله ربنا سبحانه تعالى واسع المغفرة يختص برحمته من يشاء . وقد أكرمه الله سبحانه لمجرد مجالستهم إكراما لهم .

وهذا يدل على واسع رحمته وفضله وعظيم جوده وكرمه واحسانه وبره ولطفه بعبده المسيء . وأنه سبحانه يهب المسيئين للمحسنين ؛ فرحمته تغلب غضبه . وعفوه يسبق عقوبته .

يضاف إلى ذلك أن الله عز وجل أعلم بعباده ، وأخبر بمن يستحق العفو منهم ممن لا يستحقه ، فجائز أن يكون لهذا الرجل سابقة خير عامله الله بلطفه بها . وجائز أن يكون الله قد علم من قلبه تشوفه للتوبة وقربه منها . وجائز أن يكون الله قد تفضل عليه بما تفضل به كرامة لهؤلاء الذاكرين . وبيانا لشرف الذكر وشرف مجالسه وفضله وفضل أهله .

فصحبة الأخيار ومجالستهم من أسباب العفو عن المسيء . فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم . نعوذ بالله من الشقاء والخذلان

وفي هذا الحديث يقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

"إنَّ لله ملائكةً سيَّاحين في الأرض". أي : يطوفون فيها ويمشون بطُرقها

"فضلًا عن كُتَّاب النَّاس" : غيرُ الملائكة الحفظة والكتبة الذين يلازمون الإنسان يحصون عليه حركاته وأفعاله. الكرامُ الكاتبون يعلمون ما تفعلون "فإذا وجدوا أقوامًا يذكرون الله" : اجتمعوا على ذكر الله وطاعته يسبحون الله ويحمدون

Upload by : altawhedmag.com

ويكبرون وما شابه من أدعية الثناء على الله تعالى بكلّ ما هو أهله

ويدخل فيه : الصلاة وقراءة القرآن وتلاوة الحديث، وتدريس العلوم؛ وتعلّم العلم النافع وتعليمه، ونحوها كما قال سلفنا الصالح : مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام

"تنادوا"، أي : نادى بعضهم بعضًا

"هلمّوا إلى بُغيتكم"، أي : تعالوا مُسرعين إلى طلبكم والى حاجتكم وما تبحثون عنه من استماع الذكر وزيادة الذاكر وطاعة المذكور،

"فيجيؤون فيحفُّون بهم إلى السماء الدُّنيا"، أي : يُديرون بأجنحتهم عليهم ليملؤوا بهم ما بين الأرض والسماء الأولى فيسألهم اللهُ عزّ وجلّ : "على أيّ شيء تركتُم عبادي يصنعون؟" أي : يسأل اللهُ عزّ وجلّ عن عباده الذين يذكرونه- وهو أعلمُ بهم - فتقول الملائكة : "تركناهم يحمدونك، ويُمجّدونك"، أي : يذكرونك بالعظمة أو ينسبونك إلى المجد، "ويذكرونك"

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "هل رأوني"

هل هذا الذكر لرؤيتهم اياي؟- وهو أعلمُ بهم

فتقول الملائكة : "لا يارب لم يروك"

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "كيف لو رأوني؟"

أي : كيف يكون ذكرهم لي إذا رأوني، والذي يفعلونه على غير رُؤية لي؟

فتقول الملائكة : "لو رأوك لكانوا أشدّ تحميدًا، وأشدّ تمجيدًا، وأشدّ لك ذكرًا"، أي : يزيدُ ذكرهم لله تعالى بقدر ما اطّلعوا عليه من المعرفة والمحبّة.

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "وأيّ شيء يطلبون؟"، أي : ما الذي يطلبون من أجر على هذا الذكر؟ وهو أعلمُ بهم

فتقول الملائكة : "يطلبون الجنّة"، أي : طمعًا في دُخول الجنّة

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فهل رأوها؟"

أي : هل رأوا الجنّة وما فيها فهم يطلبونها ويسألونها لذلك؟

فتقول الملائكة : "لا"، أي : لم يروها

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فكيف لو رأوها؟"

أي : كيف سيكونُ طلبهم وحرصهم عليها؟

فتقول الملائكة : "لو رأوها لكانوا أشدّ لها طلبًا، وأشدّ عليها حرصًا"

أي : ستعظُم عندهم الرّغبة في دُخولها؛ لأنّ الخبر ليس كالمعاينة

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فمن أيّ شيء يتعوّذون؟"

أي : مم يخافون ويستجيرون بي منه؟

فتقول الملائكة : "يتعوّذون من النّار"

أي : يلجؤون إليك ويستجيرون بك من دُخول النّار

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فهل رأوها؟"

أي : هل سببُ خوفهم من النّار رُؤيتهم لها؟

فتقول الملائكة : "لا"، أي : لم يروا النّار

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فكيف لو رأوها؟"، فكيف سيكونُ تعوُّذهم منها إذا رأوها؟

فتقول الملائكة : "لو رأوها لكانوا أشدّ منها هربًا، وأشدّ منها خوفًا، وأشدّ منها تعوُّذًا"؛ وذلك بإكثار ذكرهم ودُعائهم

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "فإنّي أشهدكم أنّي قد غفرتُ لهم" ذُنوبهم

فتقول الملائكة : "إنّ فيهم فُلانًا الخطّاء"، أي : كثير الارتكاب للخطايا والذُّنوب!

"لم يُردْهم"، أي : لم يقصد الذكر معهم والتّوبة من ذُنوبه

"إنّما جاءهم لحاجة"، أي : قاصدًا لشيء دُنيويّ

وهذا إشارةٌ منهم إلى أنّه لا يستحقّ المغفرة

فيقول اللهُ عزّ وجلّ : "هُم القومُ"، لا يشقى لهم جليسهم"

أي : ينفي عنه الشّقاء حتّى وإن لم يتعمّد مُجالستهم والذكر معهم

وذلك لمُخالطته أهل الذكر وإن لم يكُنْ قاصدًا.

وفي الحديث : الترغيبُ في حُضور مجالس الذكر ومجالس العلم.

وفيه : نفيُ الشقاء عن مَن يذكُرُ اللهَ ومَن يُجالسُ الذّاكرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الإسلام والمرأة

إعداد الشيخ / ابراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الإسلام قد اهتمّ بأمر المرأة اهتمامًا كبيرًا؛ وذلك نظرًا لأهميتها في المجتمع. فإذا نظرنا إلى الحال التي كانت عليها المرأة قبل الإسلام نجدها تختلف اختلافًا كليًا عن الحال التي أصبحت عليها المرأة بعد الإسلام.

وقد وصف القرآن الكريم وكذلك السُنة المطهرة في مواضع عديدة الحال التي كانت عليها المرأة قبل الإسلام، فقد كان بعض العرب قبل الإسلام يقوم بوأد البنات خوفًا من الفقر أو العار، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩). فلما جاء الإسلام حرّم قتل الأولاد عامة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مُرغِّبًا في العناية بالبنات وحسن تربيتهن: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه». رواه مسلم من حديث أنس بن مالك. أي: كهاتين الإصبعين المضمومتين في قُرب المنزلة.

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: «من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». وقوله عليه الصلاة والسلام «بشيء» يصدق في القليل والكثير، فيتناول الواحدة أيضًا من البنات.

قال ابن حجر في فتح الباري: الثواب المذكور يحصل لمن أحسن لواحدة فقط. انتهى.

كما كان عرب الجاهلية يحرمون المرأة من الميراث؛ حيث كان لا يرث فيهم إلا من قاتل

Upload by : altawhedmag.com

على ظهور الخيل أو مَن طعن برمح أو رمى بسهم. فلما جاء الإسلام جعل للمرأة نصيبًا من الإرث، يقول تعالى: «لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا» (النساء: ٧).

ويقول تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء: ١١).

وكذلك كان الجاهليون يحرمون المرأة من مهرها؛ حيث كان ولي المرأة يأخذ مهرها ولا يعطيها منه شيئًا. فلما جاء الإسلام وضح أن الصداق حقّ للمرأة على زوجها وهو -أي: الصداق- ملك لها لا يحلّ لأحد غيرها إلا عن طيب نفس منها، يقول تعالى: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا» (النساء: ٤).

وقد كان أهل زوج المرأة من أهل الجاهلية إذا مات الزوج عن زوجته يرون أنهم أحق بزوجته من نفسها ومن أهلها. فإذا شاء أحدهم تزوجها وإذا شاء زوّجها ممن يشاء وقبض مهرها، وإذا شاء منعها من الزواج وأبقاها عنده.

وكذلك كان من عاداتهم: إذا مات الرجل عن امرأته فإن ابنه -ابن الزوج- من غيرها، يلقي عليها ثوبه فيصير هو أحق بها من نفسها ومن أوليائها، فإذا شاء تزوجها بغير صداق وإذا شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها لنفسه ولم يعطها شيئًا. فلما جاء الإسلام حرّم نكاح زوجات الأب فقال تعالى: «وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا» (النساء: ٢٢).

وكان الرجل في الجاهلية يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات بدون تحديد عدد، وكثيرًا ما كان يجور على بعض أزواجه ولا يهتم بالعدل بينهن. فجعل الإسلام لتعدد الزوجات حدًا وشروطًا. فأما الحد فأربع وأما الشروط فالعدل بينهن، والنفقة عليهن. يقول تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا» (النساء: ٣).

وكما لم يكن للزواج من حدّ فكذلك لم يكن للطلاق من حد يلتقي عنده أو نهاية ينتهي إليها؛ حيث كان الرجل في الجاهلية يُطلق المرأة الثلاث والخمس والعشر طلقات ثم يراجعها ما دامت في العدة، وكثيرًا ما كانوا يراجعون المرأة في نهاية العدة إضرارًا لها وحرمانًا لها من الزواج من غيرهم. فلما جاء الإسلام جعل للطلاق حدًا يلتقي عنده؛ فقال تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة: ٢٢٩). ويقول تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

Upload by : altawhedmag.com

شَيْءٍ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٣١).

وقد كانت المرأة قبل الإسلام وضيعة الشأن لا رأي لها ولا إرادة وكان وليها يزوجها من يشاء أو يحرمها من الزواج طوال عمرها، فجاء الإسلام وفك عنها قيود العبودية، وقرَّر أن المرأة إنسان كامل الحقوق والحرية وأنه لا حق لأحد على إكراهها على ما لا تحب وترضى ولها كمال الحرية في اختيار أو رفض شريك حياتها؛ حيث إن اختيار هذا الشريك من حق المرأة وحدها سواءً كانت بكرًا أم ثيبًا، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن» قالوا: يا رسول الله فكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»؛ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

ولم يقتصر إنصاف الإسلام للمرأة على ما سبق أن أوضحنا، بل لقد ذهب الإسلام أبعد من هذا، حتى إنه ساوى بين المرأة والرجل في الحقوق والتكاليف والجزاء، يقول الله تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٣٥)، ويقول تعالى: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» (آل عمران: ١٩٥). ويقول تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

وإذا كان الإسلام قد فضَّل الرجل على المرأة في الإرث، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، فليس ذلك من قبيل تفضيل الرجل على المرأة، بل هو نتيجة دور كل منهما في الحياة، فالرجل يعمل ويكدّ وهو بحاجة إلى رأس المال، كما أنه مُكلَّف بدفع المهر لزوجته والإنفاق عليها وعلى أولاده منها، بينما المرأة ليست مكلفة بشيء من ذلك.

وفي الختام نقول: هذا ما قدَّمه الإسلام للمرأة، وهو قليل من كثير فرفع شأن المرأة وأعزها وأكرمها في الوقت الذي يتشدق فيه أدعياء الحضارة والتقدم بشبهات يثيرونها حول المرأة في الإسلام، وأن الإسلام ظلم المرأة؛ حيث أباح التعدد، وجعل ميراث المرأة على النصف من ميراث الرجل، وغير ذلك من الترهات والأراجيف، والتي تجد للأسف الشديد من يُروِّج لها ممن ينتسبون إلى الإسلام ويتجاهلون ما قدَّمه الإسلام للمرأة، ويكفي قول النبي عليه الصلاة والسلام: «النساء شقائق الرجال». رواه أحمد والترمذي، وقوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». رواه الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص، وقال الألباني: حسن صحيح الترمذي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

لا بأس بالغنى لمن اتقى

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع احتاواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده صلى الله عليه وآله وسلم. وبعد:

فقد جاءت الشريعة ببيان حقيقة المال، والحكمة من وجوده، وكيفية استخدامه، وبيَّنت منافعه أضراره، وأنه وسيلة وليس غاية، وأن من جعل جمعه غايته على حساب دينه خسر دنياه وأخراه، ولم يأته منه إلا ما كُتِبَ له، وأن صاحب المال إذا كان عالمًا عاملًا فإنه ينتفع بماله ويستخدمه في الخير والبر، بخلاف الجاهل فإن المال قد يكون سببًا في هلاكه في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

فالمال أصله من عند الله، ولقد أخبر الله صراحة أن المال هو ماله سبحانه يؤتيه من يشاء، فقال جل شأنه: «وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ» (النور: ٣٣).

وقال سبحانه: «وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» (الحديد: ٧)، وقال سبحانه: «وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» (المنافقون: ١٠).

وإذا كان المال مال الله، وهو عارية في يد البشر الذين استخلفهم عليه، فليس للبشر أن يتأخروا عن إنفاذ أمر الله في هذا المال، فإذا أمرهم أن يؤتوا فئات من الناس شيئًا من هذا المال فعليهم أن يبادروا بذلك فما يؤتونهم إلا من الله، «وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٣٣). والمال وسيلة وليس غاية.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: كنا نأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه، فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم:

Upload by : altawhedmag.com

«إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد، لأحب أن يكون إليه ثان، ولو كان له واديان، لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب». (رواه أحمد في مسنده (٢١٨/٥)، وهو في الصحيحة رقم (١٦٣٩)).

أي: أن الله سبحانه وتعالى أنزل المال وأوجده وجعله بين أيدي بني آدم، ليقيموا به شعائر الله، ويظهروا معالم الشرع من صلاة وزكاة وحج وطلب العلم وغير ذلك من شعائر الدين، لا أن يجعلوا تحصيل المال غايتهم ثم ينفقونه في غير طاعة الله تعالى. ولقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم من جعل المال غايته، فقال صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش». (متفق عليه: البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥)).

والناظر في كتاب الله يجد أن الله تعالى ذكر المال وأتبعه بذكر ما هو أخير منه، فقال تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» (الكهف: ٤٦). فهذا إخبار من الله تعالى أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسعده، الباقيات الصالحات. فثوابها يبقى، ويتضاعف على الآباء، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجد في تحصيلها المجتهدون. وقال سبحانه: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» (آل عمران: ١٤)، ثم أخبر سبحانه بأن المتقين لله، القائمين بعبوديته، لهم خير من هذه اللذات الفانية المنتهية فلهم أصناف الخيرات الدائمة، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولهم رضوان الله، الذي هو أكبر من كل شيء، فالعاقل يزهد في الفاني ويجتهد ويستكثر من الباقي الدائم، وقد أخبرنا رب العزة سبحانه بأن المال فتنة، فقال سبحانه: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (التغابن: ١٥)، وحذر سبحانه من التلاهي بالأموال والأولاد، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (المنافقون: ٩). «ومن يفعل ذلك» أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله: «فأولئك هم الخاسرون» للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال». (صحيح الجامع (٢١٤٨)).

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا لذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». (صحيح الجامع (٥٦٢٠)).

هذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس دون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يهجمان على الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلا، فهما يقتلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد

Upload by : altawhedmag.com

الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل.

فهذا المثل الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا، ولك أخي أن تتخيل هذا المثل كيف يصنع الذئبان الجائعان مع الغنم إذا تُركا في حظيرة الغنم انظر إلى أثر الدمار الذي سيحل بالأغنام. فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا. وكثرة المال في يدي العاصي لا تدلّ على الخير قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥-٥٦). أي: أيظنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة، وهذا مقدم لهم؟ كلا، ليس الأمر كذلك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤)، والحديث في الصحيحة رقم (٤١٣).

فنعمة المال إن لم تُقابَل بالشكر والاعتراف بأنها من عند الله، وتُنفق في طاعة الله سبحانه وتعالى، فلن تغني عن أصحابها شيئًا يوم الدين، يقول الله تعالى متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بالمال والبنين فكفر بأنعم الله، وبدّلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (المدثر: ١١-١٦).

وما أمر قارون ببعيد: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٦-٧٧).

وعظه قومه أن استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة، قال الله تعالى عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه للخير: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨). أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي. وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسّع الله عليه يقول: لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩). فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠). أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون.

ولما ذكر الله تعالى اختيال قارون بماله، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقّب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، قال جل شأنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾

Upload by : altawhedmag.com

(القصص: ٨١)، أي: ما أغنى عنه ماله، ولا خدمه وحشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه وحينذاك ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص: ٨٢).

وتقرأ قول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة: ٢-٩).

ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة، فمن كان حاله هكذا لم ينفعه ماله قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ: ٣٧).

ولكن من اتقى الله تعالى وأنفق ماله في مرضاة الله سبحانه؛ فسينفعه ماله؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الصالح للمرء الصالح». (أخرجه أحمد (٤/١٩٧، ٢٠٢)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خيرٌ من الغنى، وطيب النفس من النعيم». (صحيح الجامع رقم (٧١٨٢)). والمال ينفع العالم ويضر الجاهل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء». (صحيح الجامع رقم (٣٠٢٤)).

قسّم النبي صلى الله عليه وسلم الناس أربعة أقسام، خيرهم: من أوتي علمًا ومالًا فهو محسن إلى الناس وإلى نفسه بعلمه وماله.

ويليه في المرتبة: من أوتي علمًا ولم يؤت مالًا، وإن كان أجرهما سواء فذلك إنما كان بالنية، وإلا فالمنفق المتصدق فوقه بدرجة الإنفاق والصدقة.

والثالث: من أوتي مالًا ولم يؤت علمًا؛ فهو أسوأ الناس منزلة عند الله؛ لأن ماله طريق إلى هلاكه، فلو عدمه لكان خيرًا له.

الرابع: من لم يؤت مالًا ولا علمًا، ومن نيته أنه لو كان له مال لعمل فيه بمعصية الله، فهذا يلي الغني الجاهل في المرتبة، ويساويه في الوزر بنيته.

فقسّم صلى الله عليه وسلم السعداء قسمين، وجعل العلم والعمل بموجبه سبب سعادتهما، وقسم الأشقياء قسمين وجعل الجهل وما يترتب عليه سبب شقاوتهما، فعادة السعادة بجملتها إلى العلم وموجبه، والشقاوة بجملتها إلى الجهل وثمرته.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا.

Upload by : altawhedmag.com

من نور كتاب الله

تحذير المؤمنين من حال المنافقين

قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا »

(النساء: ١٤٢)

من هدي النبي ﷺ

التحذير من أخلاق المنافقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّى يدعها: إذا ائتُمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»

(صحيح البخاري)

واحة التوحيد

من تفاسير السلف

في قوله تعالى: « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا » (الممتحنة: ٥)؛ قال القرطبي: "أي لا تُظهر عدوّنا علينا فيظنّوا أنّهم على حقّ، فيُفتَنوا بذلك. وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا" (تفسير القرطبي)

من دعاء النبي ﷺ

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّه كان يقول: «اللهمّ إنّي أسألك الهدى والتّقى والعفاف والغنى»

(صحيح مسلم)

حِكَم ومواعظ

قال عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه- لفضيل بن زيد الرّقاشيّ قال: "لا يلهينّك النّاس عن ذات نفسك، فإنّ الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النّهار بكيت وكيت؛ فإنّه محفوظ عليك ما قلته، ولم أرَ شيئًا أحسن طلبًا، ولا أسرع إدراكًا من حسنة حديثه لذنب قديم" (الزهد لوكيع)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده «يس»؛ غفر له بعدد كل آية أو حرف". موضوع. رواه ابن عدي (١/٢٨٦)

(السلسلة الضعيفة للألباني)

Upload by : altawhedmag.com

من دلائل النبوة

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأحداث غزوة مؤتة

خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمْرَة ففتح له»، وكان صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهم بالشام.

(صحيح البخاري)

إعداد/د. علاء خضر

تخلف العمل عن العلم

قال مالك بن دينار: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزلّ القطر عن الصَفا". ونحوه قول زياد: "إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان"

(عيون الأخبار)

فروق لغوية

الفرق بين الغي والضلال: قال ابن كثير-رحمه الله تعالى-: "الضَالّ: هو الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحقّ العادل عنه قصدا إلى غيره"

(تفسير ابن كثير)

اتباع المسالك الصالح

قال ابن القيم: "لا يقلّدنّ أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لا بدّ مقتدين فاقتدوا بالميّت، فإنّ الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة" (الفوائد).

من حكمة الشعر

يا نفس كُفّي عن العصيان واكتسبي
فعلاً جميلاً لعلّ الله يرحمني
يا نفس ويحك توبي واعملي حسنًا
عسى تجازين بعد الموت بالحسن

من درر العلماء

قال ابن القيّم-رحمه الله تعالى-: "مثل المشرك كمن استعمله سيّده في داره فكان يعمل ويؤدّي خراجه وعمله إلى غير سيّده. فالمشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى، ويتقرّب إلى عدوّ الله بنعم الله تعالى"

(الوابل الصيب)

Upload by : altawhedmag.com

الإمام دعلج ونقد المنهج الأعوج

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمنذ عقدين من الزمان جردت كتاب سير أعلام النبلاء عدة مرات، واستوقفتني عدة آثار ومواقف للسلف ظهر لي منها فضلهم وسبقهم، وعلو منزلتهم وشرفهم، وعلمت حينها أن العلماء كانوا يتناصحون فيما بينهم، ويتعاونون في شد أزر بعضهم، ويسدون خلة ضعيفهم، وينفقون على فقيرهم، ولا يتلمسون عثرات إخوانهم، فالرفق شعارهم، وجبر العجز سبيلهم، والعفو عن الهنات منهاجهم، وحمل المواقف وان بدت في الظاهر قبيحة على خير محمل هديهم.

ومن هذه المواقف ما وقع مع الإمام: دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن أبو محمد السجستاني، وكان من ذوي اليسار، وأحد المشهورين بالبر والافضال، وله صدقات جارية ووقوف محبسة على أهل الحديث ببغداد، ومكة، وسجستان.

وكان أبو الحسن الدارقطني هو الناظر في أصوله، والمصنف له كتبه، سئل أبو الحسن الدارقطني عن دعلج بن أحمد، فقال: كان ثقة مأمونًا، وذكر له قصة في أمانته وفضله ونبله، قال: حدثني أبو القاسم الأزهري، عن أبي عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: أدخلني دعلج إلى داره، وأراني بدرًا من المال معبأة في منزله، وقال لي: يا أبا عمر، خذ من هذه ما شئت، فشكرتُ له، وقلت: أنا في كفاية وغنيَ عنها، فلا حاجة لي فيها.

حكى لي القاضي أبو العلاء الواسطي عن دعلج أنه سئل عن سبب مفارقته مكة بعد أن سكنها، فقال: خرجت ليلة من المسجد، فتقدم ثلاثة من الأعراب، فقالوا: أخ لك من أهل خراسان قتل أخانا، فنحن نقتلك به.

فقلت: اتقوا الله فإن خراسان ليس بمدينة واحدة فلم أزل أداريهم إلى أن اجتمع الناس وخلوا عني، فكان هذا سبب انتقالي إلى بغداد، وكان يقول: ليس في الدنيا مثل داري، وذاك أنه ليس في الدنيا

Upload by : altawhedmag.com

مثل بغداد، ولا ببغداد مثل القطيعة، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف، وليس في الدرب مثل داري؛ حدَّثني أبو بكر محمَّد بن عليّ بن عبد الله الحداد، وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح، عن شيخ سماه، فذهب عني حفظ اسمه، قال: حضرت يوم جمعة مسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار، ظاهر الخشوع، دائم الصلاة، لم يزل يتنفل مذ دخل المسجد إلى قرب قيام الصلاة ثُمَّ جلس، قال: فعلتني هيبته ودخل قلبي محبته، ثُمَّ أقيمت الصلاة فلم يصل مع الناس الجمعة، فكبُر عليّ ذلك من أمره، وتعجبت من حاله، وغاظني فعله.

فلما قُضيت الصلاة تقدمت إليه، وقلت له: أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك! أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيَّعتها؟ فقال: يا هذا إن لي عذرًا وبي علة منعتني عن الصلاة، قلت: وما هي، فقال: أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثُمَّ حضرت اليوم الجامع للصلاة، فقبل أن تُقام التفت فرأيت صاحبي الذي له الدَّيْن عليّ ورائي، فمن خوفه أحدثت في ثيابي فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت عليّ وكتمت أمري، قال: فقلت: ومن الذي له عليك الدين؟ قال: دعلج بن أحمد.

قال: وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلَّى وهُو لا يعرفه فسمع هذا القول ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة، فقال له دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي، وأجلسه في منزلي حتَّى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر، فأكل هو والرجل ثُمَّ أخرج حسابه فنظر فيه وإذا له عليه خمسة آلاف درهم، فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقده، فقال الرجل: لا فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء، ثُمَّ أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له: أما الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وبينك فيه، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف الدرهم، وتجعلنا في حلّ من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع. (سير أعلام النبلاء (١٦/٣٠)، تاريخ بغداد (٩/٣٦٦).

فانظر -رحمك الله- إلى هذا الموقف النبيل، إنهم لم يتصيدوا هذه الزلة ولم ينشروها بين الناس، مع أن قبح المنظر في الظاهر كبير والعذر فيه غير معقول، ومع ذلك تنزهوا عن الوقوع فيه والتمسوا له المعاذير، بل واعتذروا له عما وقع له من الخوف منهم وأقالوا عثرته، وهذا من تمام الاتباع وهو منهج العدول المنصفين.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود" أخرجه أبو داود (٤٣٧٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٦٣٨).

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "ذوو الهيئات الذين يُقالون عثراتهم الذين ليسوا يُعرفون بالشَّرّ، فيزل أحدهم الزلة".

وقال الإمام العز بن عبد السلام -رحمه الله-: "لو رُفعت صغائر الأولياء إلى الأئمة والحكام لم يجز تعزيرهم عليها، بل يُقيل عثرتهم، ويستر زلتهم، فهم أولى من أقيلت عثرته، وسُترت زلته".

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف

Upload by : altawhedmag.com

والسؤدد. فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم، فمن كان مستورًا مشهورًا بالخير حتى كبا به جواده، ونبا غضب صبره، وأديل عليه شيطانه، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته، بل تقال عثرته ما لم يكن حدًا من حدود الله: فإنه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع. (بدائع الفوائد: ٣/ ١٣٩).

وقال أيضًا: "ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة -وهو من الإسلام وأهله بمكان- قد تكون منه الهفوة والزلة فيما هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين. (إعلام الموقعين: ٣/ ٢٩٤).

وللعلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- مصنف حافل أنصح بقراءته وهو "تصنيف الناس بين الظن واليقين". ومما قاله في كتابه: ومن مستندات (المنشقين) الجراحين: تتبع العثرات، وتلمس الزلات، والهفوات.

فيجرح بالخطأ، ويتبع العالم بالزلة، ولا تغفر له هفوة.

وهذا منهج مردود.

فمن ذا الذي سلم من الخطأ - غير أنبياء الله ورسله-. وكم لبعض المشاهير من العلماء من زلات، لكنها مُغتفرة بجانب ما هم عليه من الحق والهدى والخير الكثير:

من الذي ما ساء قط

ومن له الحسنى فقط

ولو أخذ كل إنسان بهذا لما بقي معنا أحد، ولصرنا مثل دودة القز، تطوي نفسها بنفسها حتى تموت.

وانظر: ما ثبت في الصحيحين عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى أن يطْرق الرجل أهله ليلاً: يتخونهم أو يلتمس عثراتهم".

ومن طرائقهم: ترتيب سوء الظن، وحمل التصرفات قولاً وفعلاً على محامل السوء والشكوك.

ومنه: التناوش من مكان بعيد لحمل الكلام على محامل السوء بعد بذل الهمّ القاطع للترصد، والتربص، والفرح العظيم بأنه وجد على فلان كذا، وعلى فلان كذا.

ومتى صار من دين الله: فرح المسلم بمفارقة أخيه المسلم للآثام؟!

ألا إن هذا التصيد، داء خبيث متى ما تمكن من نفس أطفأ ما فيها من نور الإيمان، وصيّر القلب خرابًا يبابًا، يستقبل الأهواء والشهوات، ويفرزها. نعوذ بالله من الخذلان.

ثم ختم رسالته بعدة وصايا نافعة ومنها: الأصل بناء حال المسلم على السلامة، والستر؛ لأن اليقين لا يزيله الشك، وإنما يُزال بيقين مثله.

فاحذر -رحمك الله- ظاهرة التصنيف هذه، واحذر الاتهامات الباطلة، واستسهال الرمي بها هنا وهناك، وانفض يدك منها، يخْلُ لك وجه الحق، وأنت به قرير العين، رضي النفس.

فالتزام واجب "التبين" للأخبار، والتثبت منها؛ إذ الأصل البراءة. وكم من خبر لا يصح أصلاً!

وكم من خبر صحيح لكن حصل عليه من الإضافات ما لا يصح أصلاً، أو حُرّف، وغُيّر، وبُدّل. وهكذا.

وبالجملة فلا تُقرّر المؤاخذة إلا بعد أن تأذن لك الحُجة، ويقوم عندك قائم البرهان كقائم الظهيرة. وقد أمرنا

Upload by : altawhedmag.com

الله تعالى بالتبيُّن فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (النساء: ٨٣).

احذر "الفتانين" دعاة "الفتنة" الذين يتصيدون العثرات وسيماهم: جعل الدعاة تحت مطارق النقد، وقوارع التصنيف، موظفين لذلك: الحرص على تصيُّد الخطأ، وحمل المحتملات على المؤاخذات، والفرح بالزلات والعثرات، ليمسكوا بها بالحسد والثلب، واتخاذها ديدنًا.

وهذا من أعظم التجنّي على أعراض المسلمين عامة، وعلى الدعاة منهم خاصة. وسيماهم أيضًا: توظيف النصوص في غير مجالها، واخراجها في غير براقعها، لتكثير الجمع، والبحث عن الأنصار، وتغرير الناس بذلك.

فإذا رأيت هذا القطيع فكبّر عليهم، ووَلِّهم ظهرك، وان استطعت صدّ هجومهم وصيالهم فهو من دفع الصائل.

واعلم أن "تصنيف العالم الداعية" -وهو من أهل السُّنة- ورميه بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة، واسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبقدر هذا الصد، ينفتح السبيل للزائغين... وقد تتابعت كلمة العلماء في الاعتذار عن الأئمة فيما بدر منهم، وأن ما يبدو من العالم من هنات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه وفضله.

فهذا الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- يقول في ترجمة كبير المفسرين قتادة بن دعامة السدوسي (المتوفى سنة ١١٧هـ رحمه الله تعالى) بعد أن اعتذر عنه: "ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يُغفر له زلله، ولا نُضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم: لا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك" اهـ.

ومن محاسن جماعة أنصار السنة ومنهاجها الذي سارت عليه، أنهم دعاة للحق قد صرفوا وقتهم وجهدهم لنشر السنة ورد البدعة بأدب الرد المعلوم عند السلف، ولم يستفرغوا جهدهم في القيل والقال، والطعن واللمز لكل عالم أو داعية، بل ينصحون بأدب النصيحة، ويسترون العيب عمن ظهرت منه حُسن السريرة وعُلم حرصه على نشر السنة في الصحيفة، فالأدب في الرّدّ خُلقهم، وبذل العلم هو سبيلهم، وخدمة أهل الإسلام أحلى أعمالهم، لا كما يفعل المتسلقون على جهود العلماء بالوضع والتجريح ولا يجلسون في مجالسهم للغمز والتلويح، فهذا منهج دخيل على أهل السنة جملة وعلى منهاج هذه الجمعية خاصة: فاللهم إنا نسألك أن تثبتنا على الحق حتى نلقاك، ولا تصرفنا عن منهج أهل السنة حتى تتوفنا وأنت راضٍ عنا غير غضبان.

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

قصة ربعي بن عامر مع رستم قائد الفرس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة كثير من الوعاظ والكتاب، وسنبين حقيقة هذه القصة من التخريج والتحقيق.

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

أولًا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة ببعض الكتب السنة الأصلية، وهي الكتب التي جمعها مصنفوها عن شيوخهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد، وكذلك الكتب التي صُنِّفت في الفنون الأخرى كالتفسير والفقه والتاريخ والتي تستشهد بالأسانيد.

٢- تعارض هذه القصة مع الأصول الثابتة في إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء للدعوة إلى الإسلام.

٣- تعارض هذه القصة مع أخلاق الرسل الذين يحملون رسالة الإسلام إلى الملوك والأمراء كما سنبين من متن هذه القصة.

ثانيًا: متن القصة:

رُوِيَ أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث ربعي بن عامر إلى قائد الفرس رستم، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهبة

Upload by : altawhedmag.com

والحرير، وأظهروا اللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس رستم على سرير من ذهب.

دخل ربعي بثياب خفيفة، وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل يركبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: إن الله ابتعثنا لنُخرج مَن شاء من عباده العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قَبِل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نُفضي إلى موعود الله.... إلى آخر القصة.

١- انظر إلى هذه الصورة التي بينتها القصة بأنه دخل على قائد وأمير الفرس مقتحمًا بفرسه مجلس الأمير، ولم يزل راكبها حتى داس بها البساط، ثم نزل وربطها في الوسائد.

٢- ثم أقبل على الأمير بسلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ورمحه، وأخذ يضرب النمارق برمحها فمزقها وقطّع عامتها، كما هو مبين في الرواية التي جاءت في أكثر من خمسين سطرًا. وإن تعجب فعجب أن جاء فيها من الأحاديث أن الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم».

ثالثًا: التخريج:

هذه القصة أخرجها الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) (تاريخ الأمم والملوك) (٢/٤٦٩) ط: المكتبة التوفيقية.

قال كتب إليّ السدي عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله قالوا: وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر، فقال ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعًا يروا أنا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجل، فمالئوه جميعًا على ذلك، فقال: فسرحوني فسرّحه فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره... القصة.

٢- وأورد هذه القصة الإمام الحافظ ابن كثير المتوفى (٧٧٤هـ) في «البداية والنهاية» (٧/٣٨)، ط: دار صلاح الدين للتراث.

رابعًا: التحقيق:

هذا السند الذي جاءت به هذه القصة فيه علل:

الأولى: سيف بن عمرو الجهني:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٢/١/٢٧٨) قال: «سألت أبي عن سيف بن عمر الجهني، فقال: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي». اهـ.

٢- قال الإمام الدارقطني في كتاب «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٢٨٣): «سيف بن عمر الجهني كوفي يروي عن الكوفيين والبصريين والحجازيين».

فائدة:

يتوهم من لا دراية له

Upload by : altawhedmag.com

بمنهج الإمام الدارقطني أن الإمام الدارقطني سكت عنه؛ لأنه ذكر الاسم فقط، ولكن من تدبر منهج الإمام الدارقطني الذي في مقدمة الكتاب يجد أن الإمام البرقاني قال: طالت محاورتي مع الإمام ابن حكمان للإمام الدارقطني في المتروكين من أصحاب الحديث؛ فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته في هذا الكتاب.

الاستنتاج: نستنتج أن الأئمة الثلاثة الدارقطني والبرقاني وابن حكمان قد اجتمعوا على ترك سيف بن عمر الجهني. اهـ.

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٤١/١): «سيف بن عمر الجهني الأسيدي؛ اتُّهم بالزندقة. قال: أصله من الكوفة يروي الموضوعات عن الأثبات». اهـ.

٤- وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٣٥/٣)، (٨٥١/١٩٩): «سيف بن عمر الجهني كوفي، ثم أخرج له أحاديث بيّن أنه يضع الحديث، وختم الترجمة قائلا: ولسيف بن عمر الجهني أحاديث غير التي ذكرت، وعامتها منكرة لم يُتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق». اهـ.

٥- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٦٣٧/٢٥٥/٢) أقوال أئمة الجرح والتعديل التي بيّنها وأقرها.

العلة الأخرى: شعيب بن إبراهيم الكوفي:

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٧٠٤/٢٧٥/٢): «شعيب بن إبراهيم الكوفي، راوية كتب سيف بن عمر، فيه جهالة». اهـ.

خامسا: فائدة مهمة:

نشرت جريدة الأهرام عدد ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/ الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٩٩هـ في ملحق الجمعة ص٢ بحثًا بعنوان: دراسة علمية تتطلب تطبيق: «مصطلح الحديث النبوي على روايات التاريخ» لفضيلة الدكتور محمد رجب البيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية قال: «في الوقت الذي نجد فيه بعض المرجفين يقومون بالتشكيك في الحديث النبوي في هذا العصر نرى بعض أساتذة التاريخ ينادون بوجوب تطبيق قواعد مصطلح الحديث على روايات التاريخ، ومنهم الأستاذ الدكتور أسد رستم، وهو مؤرخ لبناني مسيحي، والذي كان يعمل أستاذًا للتاريخ بالجامعة اللبنانية، كما في كتابه "مصطلح التاريخ"، قال فيه: إن قواعد مصطلح الحديث هي أرقى ما اهتدى إليه الباحثون في توثيق الروايات وتصحيح الأخبار، وهي الميزان الدقيق في الجرح والتعديل اللذين ينتهيان بالمؤرخ إلى الرفض والقبول. وأكد هذا المؤرخ المسيحي في مقدمة كتابه فقال: إن علماء الدين الإسلامي هم أول من نظّم نقد الروايات التاريخية، ووضعوا القواعد لها، وأشار الدكتور بيومي إلى تأكيد المؤرخ المسيحي أنه لن يهتدي أحد إلى الحقيقة التاريخية الغائبة إلا إذا أخذ نفسه باتباع منهج المحدثين بالتدقيق والتحقيق».

وهذا يشبه ما قاله الإمام ابن المبارك -الذي أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه- بأن "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

Upload by : altawhedmag.com

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة: قاطع الرحم وجار السوء».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٤)، مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «فر عن أنس».

قلت: قول الإمام السيوطي: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي، وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم مَن لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على حد «الحديث الموضوع»: لا بد من معناه الاصطلاحي. فـ«الموضوع» هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شرّ الحديث وأقبحه، وتحرم روايته في أيّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

وكذلك الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع.

كذا في «شرح النخبة» (ص٤٠) للحافظ ابن حجر، وسنطبق هذا المصطلح على الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم دراسة لعلم المصطلح التطبيقي.

أولًا: التخريج:

الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٦٢- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا ثابت بن بنجير بن منصور بن علي الصوفي عن جعفر بن محمد الأبهري عن صالح بن أحمد، عن أحمد بن حسن بن مهدي الأهوازي، عن محمد بن علي بن بكير العشري، عن أحمد بن داود عن محمد بن مهدي البصري، عن أبيه، عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة...» الحديث.

ثانيًا: التحقيق:

الحديث: لا يصح لما فيه من علل ظاهرة.

العلة الأولى: أبان وهو ابن أبي عياش. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٥/١٠/١) أحد الضعفاء وهو تابعي صغير يحمل عن أنس وغيره، قال شعبة: «أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث»، قال أحمد: «هو متروك الحديث»، وقال يحيى بن معين: «متروك»، وقال الجوزجاني: «ساقط»، وقال النسائي: «متروك». اهـ.

العلة الأخرى: مهدي بن هلال البصري. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٨٢٧/١٩٥/٤): «يضع الحديث»، وقال سعيد وابن معين والدارقطني وغيرهم: «متروك»، وقال ابن معين «يضع الحديث». اهـ.

ويتضح من هذه الأقوال التي ذكرناها أن الحديث موضوع.

Upload by : altawhedmag.com

الربا وتحريم الشرائع له

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

حرم الله عز وجل الربا في كافة الشرائع السماوية، ولم يُبح الربا في أي شريعة قط؛ فالربا محرم في اليهودية والنصرانية، وفي الإسلام.

تحريم الربا في اليهودية:

نصت التوراة على تحريم الربا ففيها: "وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبًا أو مستوطنًا فيعيش معك، لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل أخش الهلاك، فيعيش أخوك معك، فضتك لا تعطه بالربا، وطعامك لا تعطه بالمرابحة". سفر اللاويين، الإصحاح السادس والثلاثين، العدد ٢٥.

وفي سفر الخروج: " إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي ولا تضعوا عليه الربا ".الإصحاح الثاني والعشرين، العدد ٢٢.

الربا محرم مع اليهودي فقط:

ويلاحظ أن النهي عن الربا اقتصر عند اليهود على التعامل بين اليهود مع بعضهم البعض فقط، ففي سفر التثنية: " لا تقرض أخاك الإسرائيلي بربا، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض بالربا" سفر التثنية، الإصحاح الثالث والعشرين، العدد ١٩. فمفهوم الأخ عندهم يقتصر على رابطة الدين، فينصرف إلى كل من يدين باليهودية، أيا كان موطنه، وبسبب هذه التفرقة بين اليهودي وغيره أشاع اليهود التعامل بالربا في العالم بأسره، ونعي عليهم سبحانه وتعالى ذلك حيث قال: " وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (النساء: ١٦١).

الربا مباح مع غير اليهودي:

والإقراض بالربا لغير اليهودي فهو جائز

Upload by : altawhedmag.com

عندهم ففي سفر التثنية: "للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب آلهك في كل ما تمتد إليه يدك" (سفر التثنية، الإصحاح الثالث والعشرين، العدد ٢٠).

ويبين المولى سبحانه مسلك اليهود في استحلالهم الربا مع غيرهم في قوله تعالى: " ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

تحريم الربا في النصرانية

ورد تحريم الربا في عدة مواضع من كتبهم، منها في سفر الأمثال: " المكثر ماله بالربا والمرابحة فلمن يرحم الفقراء يجمعه. من يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضا مكروهة" سفر الأمثال الإصحاح ٢٨ (العدد٨ و٩).

وفي سفر حزقيال: " ولم يظلم إنسانًا بل رد للمديون رهنه ولم يغتصب اغتصابًا بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوبا ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مرابحة...".

وفي سفر نحميا نجد الإنكار على اليهود في تعاملهم بالربا مع غيرهم، فقد ورد فيه: " قد تراخى اليهود في حفظ الناموس بعد السبي ومن ضمنها الوصايا الخاصة بالربا فانتهرهم نحميا بشدة " سفر نحميا، الإصحاح الخامس، العدد ١: ١٣.

وفي إنجيل لوقا على لسان المسيح: " وإن أقرضتم من ترجون أن تستوفوا منه فأي فضل لكم؟ فإن الخطأة أيضاً يقرضون الخطأة لكي يستردوا منهم المثل، بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكن أجركم عظيماً..." إنجيل لوقا، الإصحاح السادس، العدد ٣٥و٣٦.

مجمع نيقيه المسكوني يؤكد تحريم الربا:

ساد تعليم الكنيسة لقرون بشأن تحريم الربا، وانعقد إجماع الكنائس جميعها على تحريم الربا، بل ثارت الكنائس حين أراد بعض المرابين استباحة الفائدة فلم ترض الكنيسة ولم تسمح بذلك، حتى ذكر هذا التحريم في المجمع المسكوني المنعقد بمدينة نيقية التركية. وقرار المجمع المسكوني حول تحريم الربا كان قانوناً كنسياً قررت العقوبة لمخالفيه (والمجمع المسكوني هو مؤتمر يعقده الأساقفة للتداول في شؤون الكنيسة، وهو مسكوني إذا دعي إليه أساقفة العالم كله وانعقد برئاسة البابا).

وقد صدر قرار المجمع المسكوني الذي عقد في مدينة نيقية التركية عام ٣٢٥م والذي نص على ما يلي: " إذا وجد واحد من الآن يأخذ الربا، أو يجعل آخر يفعل هذا له أو يسلف على ربا، أو يحتال فيه بحيلة لأجل ربح نجس، فيقطع ويُجعل غريباً".

كما نادى مارتن لوثر- مؤسس المذهب البروتستانتي- بتحريم الفائدة وأعلنها حربا شعواء على المرابين، ولذا لا عجب أن نجد بعض آباء الكنيسة المسيحيّة وضعوا عقوبات شديدة لأولئك الّذين يتعاملون بالرّبا؛ فبالإضافة إلى إلزامهم بردّ الرّبا، فقد اعتبروا المرابي كالمرتد، يحرم من الدّفن الدّيني هو ومن ساعده.

ومقولة توماس الأكويني الشهيرة " إن النقود لا تلد ولا تبيض " دليل على عدم مشروعية الفائدة، ورد الأكويني على بعض معاصريه الذين نادوا بإباحة الفائدة بالاستناد إلى أنها ثمن مضي الوقت مع تعطيل المال- فهي ثمن الزمن- فيكون القرض بيعا للنقود بمبلغ مماثل للمقدار المقرض مع فائدة لقاء عدم انتفاع المقرض بماله، ورفض هذا التبرير قائلا إن الزمن ملك لله ولا يحق لشخص أن يتقاضى

Upload by : altawhedmag.com

ثمنا عن شيء لا يملكه أصلا، وقال: من المخالفة لقواعد العدالة في المبادلة أن يبيع المقرض نقوده ويحصل على أجرة نتيجة استعمالها بواسطة المقترضين.

محاولات استباحة الربا

جون كالفن وإباحة القروض الإنتاجية:

ظل الربا محرمًا حتى زمن جون كالفن مؤسس المذهب الكالفيني والذي ذهب إلى أن للمال قوة إنتاجية مثله مثل سائر السلع التجارية وميز بين قرض الإعانة الذي يكون مجانياً وقرض الإنتاج الذي برر به الفائدة، فكان أول من أباح الربا في الكنيسة البروتستانتية واشترط أن تكون الفائدة معقولة، وانتقلت هذه النظرية إلى المفكرين الكاثوليك ومنهم إلى الكنيسة الكاثوليكية ومن ثم الى بقية المذاهب، وأصبحت نظرية كالفن إحدى أهم منطلقات الرأسمالية الغربية.

ومن العجيب أن رجال الدين يسعون جاهدين لإباحة المعاملات الربوية متجاهلين النصوص التي في كتابهم ضاربين به عرض الحائط، في الوقت الذي نجد فلاسفة الإغريق الوثنيين يتصدون للربا ويشنعون على المرابين، فقد اشتهر عن أرسطو معاداته للربا، فكان يبغض الفائدة ويدعو إلى بغضها، ويعلل ذلك بأن الفائدة تجعل النقد نفسه مُنتجاً وهو ما لا ينبغي أن يكون لأن غرض النقد الأساسي هو تسهيل المبادلات، وبذلك يكون أرسطو قد استطاع أن يحدد وظيفة النقد الأساسية ومن ثم دعا إلى عدم اعتماده مادة مستقلة في التجارة، وهو ما بُني عليه القول المشهور: (النقد عقيم لا يلد) والذي نقله الأنبا توماس الإكويني بقوله النقود لا تلد ولا تبيض، كما شن أفلاطون في كتابه المدينة الفاضلة حربًا على الربا، إذ رأى أن ما في الفائدة من استغلال لا يتناسب والقوانين الفاضلة.

عقد القرض البحري والاحتيال على تحريم الربا:

ثم بدأ موقف الكنيسة في التغير وذلك نتيجة انتشار عقد القرض البحري في القرون الوسطى والذي ظهر نتيجة الرغبة في الاحتيال على حظر الاقراض بالفائدة الذي فرضته الكنيسة، وكان يعرف بقرض المخاطرة الجسيمة فكان صاحب المال يقرض مالك السفينة أو ربانها نقودًا لتجهيز السفينة والقيام بالرسالة البحرية شريطة ألا يستوفى ما قدمه إلا إذا وصلت السفينة سالمة، فحينئذ يحصل فضلا على مبلغ القرض وعلى فائدة مرتفعة، أما إذا هلكت السفينة فإنه يفقد دينه.

وعقد القرض البحري كان هو أصل نظام التأمين التجاري، لأن مجهز السفينة أو ربانها لا يدفع شيئًا في حالة هلاك السفينة، كما لو كان قد عقد تأمينًا من خسارة السفينة التي جهزها بأموال المقرض أو خسارة البضائع التي اشتراها بهذه الأموال.

كما كان عقد القرض أيضًا أصل شركة التوصية فبدلا من أن يأخذ العقد صورة قرض بفائدة كان صاحب المال يبرم عقد توصية مع التاجر يتعهد بمقتضاه بتقديم الأموال اللازمة للتجارة ويتقسم معه الأرباح على ألا يسأل عن الخسارة إلا في حدود ما قدمه من مال.

وانتقلت فكرة عقد التوصية من التجارة البحرية إلى التجارة البرية، وكان لها نجاح كبير لأنها كانت تسمح بتفادي حظر الكنيسة للإقراض بفائدة.

بل وسرعان ما لجأ الأشراف ورجال الكنيسة أنفسهم وغيرهم ممن لم يكن لهم حق مزاولة التجارة إلى نظام التوصية سترًا لأسمائهم وحتى يظلوا مجهولين من الغير الذين لم يكن لهم إلا الرجوع على الشريك الظاهر، وكان ذلك

Upload by : altawhedmag.com

بداية التوجه نحو إباحة الربا.

إباحة الكنيسة البروتستانتية للربا:

مع استهانة رجال الكنيسة بتحريم التعامل بالربا وتعاملهم هم بأنفسهم بالربا تجرأ الملوك على الدين فأصدر الملك هنري الثامن أمره بإلغاء تحريم الربا في انجلترا في عام ١٥٤٥، وهو ما يعني أنه أحل الربا الذي حرمه الله تعالى وأصبح الربا مباحًا في إنجلترا. ولكن لم يدم الأمر كثيرًا حيث أعاد الملك إدوارد السادس تحريم الربا مرة أخرى.

اليزابيث الأولى تبيح الربا:

ولكن بعدما تولت الملكة إليزابيث الأولى حكم إنجلترا قامت عام ١٥٧١ بإلغاء تحريم الربا، حيث حولت إنجلترا من المذهب الكاثوليكي إلى المذهب البروتستانتي، وأصبحت ملكة إنجلترا هي رئيسة الكنيسة واستقر هذا الأمر على ذلك حتى الآن. ونجحت إليزابيث في إباحة الربا في حين فشل هنري الثامن لأنها أباحته بصفتها رأس الكنيسة وليست ملكة إنجلترا.

وبذلك أبيح الربا جهرة على أيدي الملوك الذي أفسدوا الدين، ولكن كان ذلك برضا من الكنيسة البروتستانتية التي أرادت أن تجعل لنفسها موردًا للدخل مضمون الربح بأن تقرض ما في خزائنها بالفائدة. ويرى البعض أن هذا التغير يرجع إلى التنافس الناشئ بين المذهب الكاثوليكي؛ والمذهب البروتستانتي في جذب المؤيدين، ومن ثم توالى إباحة الربا في كافة الكنائس بعد ذلك حتى لم يعد للتحريم ذكر رغم النصوص المحرمة للربا والتي عرضنا لبعضها فيما سلف.

تحريم الربا في الشريعة الإسلامية

الربا في الإسلام محرم بكافة صوره، وقد نص القرآن الكريم والسنة المطهرة على تحريم الربا كما انعقد الإجماع على تحريم الربا وكفر من استحله.

تحريم الربا في القرآن الكريم

ورد تحريم الربا في القرآن الكريم في قول الله تعالى: «وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (البقرة: ٢٧٥)، وقوله عز وجل: «يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» (البقرة: ٢٧٦). وفي قوله سبحانه وتعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (البقرة: ٢٧٨). ويقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "قال ابن عباس: "... هذه آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم"، والله سبحانه يؤكد بقوله: (يمحق الله الربا) على أنه يستأصله ويذهب ببركته ويهلك المال الذي دخل فيه، وقيل: ذهاب البركة والاستمتاع حتى لا ينتفع هو به ولا ولده بعده، ويكفي آكلي الربا خزيًا أن علامة أهل الربا يوم القيامة أن يبُعثوا وبهم خَبَلٌ من الشيطان... ". ومما يدل على شدة تحريم الربا قوله سبحانه عن أكل الربا (كَفَّار) أي جاحد بآيات الله تعالى فيحل ما حرم، ووصفه سبحانه وتعالى له بأنه (أثيم) أي فاجر كثير الإثم بأكله أموال الناس بالباطل. يقول الطبري عن تفسير هذه الآية: "... والله لا يحب كل مُصرٍ على الكفر بربه مقيم عليه، مستحلٍ أكل الربا واطعامه، والأثيم: المتمادي في الإثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه، لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه...".

تحريم الربا في السنة المطهرة:

وأما تحريم الربا بالسنة المطهرة فلحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر

Upload by : altawhedmag.com

وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" متفق عليه. فقد جعل الربا من أكبر الكبائر. ولحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه وقال: هم سواء" صحيح مسلم.

فقد تضمن الحديث لعن كلّ المتعاملين بالربا، الآخذ والمعطي والكاتب، بل والشهود، وهذا ما يدل على شدة خطره وعظم جرمه، وهذا من الوعيد الشديد.

وفي خطبة الوداع يوصي النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالإقلاع عن الربا وبهجره وأنه تحت قدميه موضوع، فقد روى عنه عمرو بن الأحوص رضي الله عنه أنه قال: ".... ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون، ولا تظلمون....".(سنن النسائي، وسنن أبي داود)

وقد وردت أحاديث تدل على محق البركة من المال الربوي، فقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الربا وان كثر فإن عاقبته تصير إلى قل " مستدرك الحاكم، ولم يكن هذا المال محرما لما محقت بركته.

تحريم الربا بالإجماع:

انعقد الإجماع على تحريم الربا، وقد نقل النووي الإجماع على ذلك بقوله: "... أجمع المسلمون على تحريم الربا وعلى أنه من الكبائر، وقيل إنه كان محرما في جميع الشرائع، وممن حكاه الماوردي..." (المجموع شرح المهذب، ج٩، ص ٣٩).

وذكر الرملي الشافعي: أن الربا لم يحل في شريعة قط، ولم يؤذن الله في كتابه عاصيا بالحرب سوى أكله. (نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج٣، ص ٤٢٤).

وقد اتفق الفقهاء على أن المستحل الذي ينكر الربا كافر بالإجماع (كأي منكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة)، ونبّهوا إلى أن المستحل هو الذي ينكر الربا وأن الله حرمه؛ وهذا مكذب لله الذي حرم الربا في القرآن الكريم، وللنبي الذي وردت سنته بتحريم الربا، أما من ارتكب الربا وهو عالم بتحريمه غير منكر له- حبًا للمال ورغبة في الاستزادة منه- فليس بمستحل ومِنْ ثَم لا يكفر وانما هو مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر، وان مات عليها فأمره إلى الله سبحانه، ومن ارتكبه متأولا أو متبعًا لفتوى من مختصين فليس بمستحل، وكذلك من اجتهد في مسألة كالإيداع في البنوك التجارية أو الاقتراض منها بفائدة، أو التعامل بالسندات الربوية ورأى أنها غير محرمة فلا يقال عنه- رغم مخالفته وخطئه- أنه يستحل الربا، وانما يقال اجتهد فأخطأ ولا نقره على اجتهاده، لأن رميه باستحلال الربا يعني تكفيره لأنه استحل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فلا يجادل أحد من أهل العلم في تحريم الربا، وإنما يرى أن هذه الصورة أو تلك لا تندرج تحت الربا المحرم شرعًا، مع تسليمه وإقراره بأن الربا محرم.

والربا لم يحل في شريعة قط وأن كافة الشرائع السابقة على الاسلام قد حرمته، قال تعالى عن اليهود: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ (النساء: ١٦١)، والمعنى أن الربا منهي عنه في الكتب السابقة.

ورغم الإجماع على تحريم الربا طيلة القرون الماضية، إلا أنه قد حدثت محاولات معاصرة عديدة في ديار الإسلام لإضفاء المشروعية على المعاملات الربوية المحرمة. وهو ما نبينه في المقال القادم بمشيئة الله تعالى.

Upload by : altawhedmag.com

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

إطلاق لفظ (الحدوث) على صفات الله الاختيارية بين النفي والإثبات

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد استخدم الأشعرية تبعًا للجهمية والمعتزلة مصطلح (الحدوث) -الذي يعني: إثبات حدوث العالم بوقوع التغير والتجدد فيه والاستدلال بذلك على وجود الله-، وأرادوا به: نفي حلوله عن أفعاله تعالى ونفي مشابهته لها، وهي كلمة حق أريد بها باطل؛ ذلك أنهم أرادوا بـ(نفي الحلول ومماثلة الحوادث)، نفي جميع صفاته تعالى الاختيارية، وقد أقاموا له دليلا يتيمًا أسموه (دليل الحدوث)، ويُعدُّ هذا الدليل أهمَّ دليل عقلي عند متأخري الأشعرية وفي المنظومة الكلامية، وأشهر أصل عارضوا به دلالات النصوص الشرعية، كما جعله المتكلمون معتمدهم في إثبات أكبر قضية علمية، وهي: وجود الله تعالى، وقد أطلق على هذا الدليل أسماء وألقاب كثيرة ومن تلك الأسماء: (دليل الحدوث) و(دليل الحدوث والقدم) و(دليل الجواهر والأعراض) و(دليل الأجسام) و(دليل حلول الحوادث) و(دليل حدوث الأجسام) و(دليل حدوث الأعراض) وغيرها من الأسماء.

١) حقيقة الاستدلال بـ(دليل الحدوث) الوحيد عن الأشعرية:

وتقوم حقيقته عندهم على أصلين هما:

الأول: إثبات حدوث العالم.

والثاني: إثبات كون المُحدَث لا بد له من مُحدِث، وقد خلُص أصحاب هذا الدليل إلى أن العالَم لا بد له من مُحدث مختار وهو الله. وهذا كلام مجملٌ شاركهم فيه أهل السنة، لكن على وجه صحيح؛ دحضوا من خلاله مفاهيم الأشعرية واستنتاجاتهم الباطلة من أقيستهم العقلية، الأمرُ الذي يعني أن هذين الأصلين فيهما إجمال وأنهما في حاجة إلى تفصيل، وبخاصة أن هذا الدليل عند التأمل في تركيبه ومنهجية الاستدلال مشتمل على أخطاء منهجية ضخمة يستحيل معها الاعتماد عليه أو الوثوق به.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مذهب السلف هو أن وجوده تعالى ليس قاصرًا على هذا الدليل، بل هو أمرٌ فطري معلوم بالضرورة، والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق وكذا الوحي؛ أجلُّ من الحصر

ففي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد
ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة له شاهد

أما الأشاعرة فليس لديهم إلا هذا الدليل اليتيم المسمى بـ(دليل الحدوث والقِدَم)، ومفاده: أن

Upload by : altawhedmag.com

الاستدلال على وجود الله إنما يكون ببيان أن الكوْن حادث، وكل حادث لا بد من مُحدث قديم، وأخصُ صفات هذا القديم: مُخالفتُه للحوادث، وعدم حلولها فيه، ومن مُخالفته للحوادث: إثبات أنه ليس جوهرًا ولا عرضًا، ولا جسمًا، ولا في جهة ولا مكان ولا حيِّز، وألا يحدُث لأفعاله تجدد.. إلخ، ثمّ أطالوا جدًا في تقرير هذه القضايا، ورتبوا عليها من الأُصول الفاسدة ما لا يدخل تحت العدّ، مثل: إنكارهم لكثير من الصفات: كالكلام اللفظي، والرضا والغضب، والاستواء والنزول، وذلك بشُبهة: نفي حُلول الحوادث في القديم، ونفي الجوهرية والعرضية، والجهة والجسمية.. إلى آخر المصطلحات البدعية التي جعلوا نفيها أصولًا، وأنفقوا الأعمار والمداد في شرحها ونفيها، ولو أنهم قالوا: (الكون مخلوق، وكل مخلوق لا بد له من خالق) لكان أيسر وأخص، مع أنه ليس الدليل الوحيد على تنزيه الله عن الحوادث، ولكنهم تعمّدوا موافقة الفلاسفة حتى في ألفاظهم.

وقد أطنب شيخ الإسلام في (الأصفهانية)، و(درء التعارض) وغيرهما، في الكلام على هذا الدليل وتزييفه، كما دحضه أبو الحسن في جُمل سهلة أوردها في الإجماع الخامس من كتابه (رسالة إلى أهل الثغر) قال فيها: "ولا يجبُ إذا أثبتنا هذه الصفات له سبحانه على ما دلت عليها: العقول واللغة والقرآن والإجماع، أن تكون محدثة لأنه لم يزل موصوفًا بها، ولا يجب أن تكون أعراضًا لأنه عز وجل ليس بجسم، وإنما توجد (الأعراض) في (الأجسام) ويدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها. كما لا يجب أن تكون نفس الباري جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا؛ لمفارقته لنا، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا". ولكن وقبل أن نأتي على تفاصيل ما قالاه، حريٌّ بنا أن نناقش كلام الأشعرية مناقشة عقلية.

٢- مناقشة دليل الأشعرية ودحض حججهم في دليل الحدوث:

أولًا: محدودية الدليل: ونقول بادئ ذي بدء: إن هذا الدليل الأحادي هو الحجة المعتمدة عند المعتزلة كما قال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ص٩٥؛ وكذلك هو عند جمهور الأشاعرة، إذ من خلاله يُعرف عندهم (إثبات الصانع) وادّعوا أن ذلك لا يحصل إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإنما أرادوا بالنظر: النظر العقليّ في الأعراض ومُلازمتها للأجسام، كذا دون ما اعتماد على الوحي.

وفي هذا يقول الباقلاني في شرح اللُّمع: "وهذا الطريق من الكلام في حدوث الأجسام هو المعتمد في هذا الباب"، ويقول ابن تيمية في درء التعارض ٧/ ٢٢٩ عن طريقة الاستدلال بهذا الدليل: "هي الطريقة المشهورة عند الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية ومن دخل في ذلك من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم"، وقد ذكر الأشعري والخطابي أن المتكلمين أخذوا هذه الطريقة من الفلاسفة، الأمرُ الذي يعني أن هذا الدليل بفهمه المغاير لفهم أهل السنة: هو من محدثات الأمور وقد تأثر به الأشعرية وتلقوه عن أهل الزيغ والضلال.

ثانيًا: جعله دون سواه: الأصل في معرفة الله وإثبات صفاته: فقد توارد كثيرٌ من المتكلمين على تعظيم دليل الحدوث هذا، والإعلاء من شأنه؛ لحدّ أن جعلوه من أصول الدلائل الكبيرة التي لا يتحقق إيمان المرء إلا بمعرفتها، وسلكه أكثرهم في إثبات وجود الله؛ فلا يمكن العلم بوجوده عند الماتريدي؛ إلا بمعرفة حدوث العالم، وفي هذا يقول في كتابه التوحيد ص١٢٩: "والأصل أن الله تعالى لا سبيل إلى العلم به إلا من طريقة دلالة العالم عليه"، ويقول الغزالي في تهافت التهافت ص١٧٩: "من لا يعتقد حدوث الأجسام فلا أصل لاعتقاده في الصانع أصلًا".

ويقول النسفي في تبصرة الأدلة ص٣٥: "من المحال أن يكون من لا علم له بحدوث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته وثبوت النبوة مؤمنًا"، بل قد جعل القاضي عبد الجبار العلم به أول واجب على العبد؛ لأنه محل النظر الذي هو طريق لمعرفة الله تعالى".

Upload by : altawhedmag.com

والى ذلك جنح المتأخرون من المتكلمين فقالوا: (إن العلم بحدوث العالم -يعني: بمفهومهم القاصر- أصل كل العقائد؛ وذلك لأن العلم بوجود الله لا يكون إلا بالعلم به، والعلمُ بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا بعد العلم بوجود الله، والشرائع لا تثبت إلا بالنبوة)، فصار دليل الحدوث أصلًا لكل شرائع الدين على قولهم، وفي هذا يقول السنوسي في شرح العقيدة الوسطى ص٨٧: "اعلم أن حدوث العالم أصل عظيم لسائر العقائد وأساس كبير لما يأتي من الفوائد"، ويقول ابن تيمية في الصفدية مبينًا منزلة حجة الحدوث عند المتكلمين: "جعلوا صحة دين الإسلام موقوفًا عليها؛ وذلك أنه موقوف على الإيمان بالرسول، والإيمان به موقوف على معرفة المرسل، وزعموا أن المرسل لا يُعرف إلا بها، قالوا: (لأنه لا يُعرف إلا بالنظر والاستدلال المفضي إلى العلم بإثبات الصانع)، قالوا: (ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث العالم)".

وقد سبق أن ذكرنا أن أهل السنة لديهم من الأدلة على إثبات وجود الله وإثبات صفاته من غير هذا الدليل، ما هو فطري وما هو مدلول عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق وكذا الوحي؛ ما يعني: أن ما جنح إليه من ذكرنا قبل، هو من ضيق العطن وتحجير المتسع.

ثالثًا: أما بالنسبة للأصل الأول: وهو إثبات حدوث العالم، فقد قرر جمهور المتكلمين أن العالم وهو كل ما سوى الله، مكوَّن من أمرين: (جواهر) و(أعراض) أي: صفات، وقرروا أن الجواهر لا يمكن أن تنفك عن الأعراض وأن الأعراض متغيرة، وخلصوا من هذا إلى أن العالم لا بد أن يكون مُحدثًا مخلوقًا. وبهذا التقرير يُعلم أن هذا الأصل قائم على أربع مقدمات وهي:

١- إثبات الأعراض: وله في اصطلاح المتكلمين حدود كثيرة من أشهرها: أن "العَرَض هو: ما يقوم بغيره"، كذا ذكره الجويني في الإرشاد. ومن أشهر أدلة وجوده عند الماتريدية والأشاعرة: هو أن الجسم تطرأ عليه التغيرات فهو تارة يكون ساكنًا وتارة يكون متحركًا وتارة يكون متلونًا بلون معين ثم يتغير ذلك اللون، وهذا التغير لا يصح أن يكون مرجعه الجسم نفسه؛ لأنه لو كان كذلك لكان باقيًا على أحواله دائمًا، وفي بيان هذا الدليل يقول النسفي في التمهيد ص٤: "الجوهر قد يكون ساكنًا ثم يتحرك والعكس، ولو لم تكن الحركة والسكون معنيَّين وراء ذات الجوهر أو كانا راجعين إلى ذاته لكان في جميع الأحوال ساكنًا متحركًا لوجود ذاته الموجب لهما، ولما اختصَّ كلُّ صفة بحالة على حدة".

٢- إثبات حدوث الأعراض، وهذه اختلف فيها المتكلمون فمنهم: من يرى أن حدوث الأعراض ضروري لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه يقع بالمشاهدة والحس، وهذا القول قال به الماتريدية كما ذكره النسفي وبعض الأشاعرة، ومنهم: من يرى أنها نظرية لا تُعلم إلا بالدليل وهم جمهور الأشاعرة، وقد استندوا في إثباتها على دليل التعاقب، وحاصله: أن الأعراض المتضادة تتعاقب في محالِّها، ونحن نستيقن بناءً على ذلك أن الوصف الطارئ حادث لأنه كان معدومًا، ونستيقن أن الوصف الزائل حادث أيضًا؛ لأنه زال بعد وجوده، وما حدث بعد عدمه أو زال بعد وجوده فهو حادث، وهذا الدليل مع سابقه استند إليه المعتزلة.

٣- استحالة تعري الجواهر من الأعراض: وقد استند الأشاعرة في تقرير دليلها إلى أن الضرورة تقتضي أن الجسم يستحيل أن يخلو من الأوصاف المتضادة كالاجتماع والافتراق؛ لاستحالة ارتفاع النقيضين، وهذا يلزم منه ضرورة اتصاف الجسم بأحد الوصفين، وبالتالي يقتضي امتناع خلو الجسم من الأعراض، وفي عبارة الأشعري السالفة الذكر ردٌّ على هذه الثلاثة.

٤- إن ما لم يَسبق الحوادث فهو حادث، وهذا القول قرره الباقلاني والقاضي عبد الجبار وغيرهما، ودليلهم في هذا: أن الجسم إذا لم يمكن أن ينفك عن الأعراض فهو لا بد أن يكون معها أو بعدها، وكلٌّ من المعية أو البعدية تقتضي عدم تقدم الجسم على الأعراض إذ الجسم لا يمكن أن يَسبق

Upload by : altawhedmag.com

الأعراض.

وهذه الحجة فيها إجمال، فهي لم توضّح المراد بالحوادث هنا، هل المراد بها جنس الحوادث أم أفرادها؟، ولحل هذه الإشكالية ذهب البعض إلى استحالة وجود حوادث لا أول لها وقد قال بهذا القول جل المتكلمين.

رابعًا: وأما الأصل الثاني؛ وهو: أن كل حادث لا بد له من محدث، فقد اختلف المتكلمون فيه، فمنهم: من جعله من الأمور الضرورية التي لا تحتاج إلى استدلال، ومنهم: من جعله من الأمور النظرية واستدلوا عليه بأدلة كثيرة. ومن تلك الأدلة: القياس، وقد بيّن صورته القاضي عبد الجبار إذ يقول في شرح الأصول الخمسة ص١١٨ - وبنحوه الرازي في المطالب ١/ ٢١٠ -: "يدل عليه تصرفاتنا في الشاهد فإنها محتاجة إلينا ومتعلقة بنا وإنما احتاجت إلينا لحدوثها، فكل ما شارك تصرفاتنا في الحدث، وجب أن يشاركها في الاحتياج إلى مُحْدِث وفاعل، والأجسام قد شاركتها في الحدث فيجب احتياجها إلى مُحْدِث وفاعل".

واستدل بعض الأشاعرة بدليل التخصيص وحاصله: أن الممكن جائز وجوده في كل وقت فلا فضل لوقت دون وقت، فاختصاصه بالوجود في وقت دون وقت يحتاج إلى مخصِص لاستحالة ترجيح أحد الممكنين بلا مرجح. فلما قرر المتكلمون هذين الأصلين خلصوا إلى نتيجة، وهي على حد ما أفاده ابن تيمية في الفتاوى ٣/ ٣٠٤: أن خالق هذا العالم هو الله؛ لأن الخلق لا يمكن أن يكون إلا من فاعل مختار وليس سوى الله.

٣- الأخطاء المنهجية في دليل الحدوث:

نقد المحققون من العلماء دليل الحدوث، وبيّنوا ما فيه من خلل ونقص؛ وأكدوا عدم صلاحيته لما وُضع له؛ وفي الفتاوى ٣/ ٣٠٤ عن دليل الحدوث: "المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدّعى بها مطلقًا، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه يلزمه أحد أمرين: إما أن يطّلع على ضعفها ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده الأدلة، أو يُرجّح هذا تارة وهذا تارة كما هو حال طوائف منهم".

والنقد الذي يوجه إلى هذا الدليل: بيان أن كلّ دليل لا بد أن تتوفر فيه أوصاف يكون بها طريقًا صحيحًا، وفي بيان تلك الأوصاف يقول ابن القيم في الصواعق ٢/ ٤٦٠: "والله حاجّ عباده على ألسُن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولًا وأقلها تكلفًا وأعظمها غناءً ونفعًا وأجلها ثمرة وفائدة، فحججه سبحانه العقلية التي بيّنها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول، وكونها قاطعة للشكوك والشبه وملزمة للمعاند والجاحد، ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع، وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاجّ به عباده في إقامة التوحيد وإثبات الصفات وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات المعاد وحشر الأجساد؛ وطرق إثبات علمه بكل خفي وظاهر وعموم قدرته ومشيئته وتفرده بالملك والتدبير وأنه لا يستحق العبادة سواه، وجد الأمر في ذلك على أجل وجوه الحجاج؛ وأسبقها إلى القلوب؛ وأعظمها ملاءمة للعقول؛ وأبعدها من الشكوك والشبه، في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأدله على المراد".

والعكس، فمن يتأمل أكثر طرق المتكلمين في الاستدلال وخاصة دليل الحدوث، يدرك أنها فاقدة لأوصاف الدليل الصحيح ومتشربة بالأخطاء المخالفة لما ينبغي أن يكون الدليل عليه، كما يلحظ أن الأخطاء المنهجية التي اشتمل عليها متنوعة: منها ما يرجع إلى مستنده ومستمده، ومنها ما يرجع إلى منطلقه وغرضه الأصلي، ومنها ما يرجع إلى طريقة تركيب مقدماته ونتائجه، ومنها ما يرجع إلى فقدان مناسبته لأحوال المكلفين، ومنها ما يرجع إلى لوازمه المعرفية.

وللحديث صلة بإذن الله.

Upload by : altawhedmag.com

نصرة الأمة وقوتها في وحدتها واعتصامها بالله تعالى

إعداد: د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع القاهرة

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم رسله وإمام أنبيائه وسيد المرسلين، ومن تبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن وحدة هذه الأمة، واعتصامها بالكتاب والسنة، وائتلاف كلمتها، من أهم المطالب الشرعية التي تضافرت عليها نصوص الوحيين الكتاب والسنة، ففي هذه الوحدة وهذا الائتلاف نصرتها وقوتها وسعادتها في الدارين، وسواء وافق هذا الواقع أو اختلف معه.

وواقع الأمة الآن يدعوها أكثر من أيّ وقت سبق إلى نبْذ الفرقة والاختلاف والاعتصام بالله وحده، وهذا الأمر هو أصل كبير من أصول الدين الكلية، وقاعدة من قواعده العظمى مخالفته توجب غضب الرب سبحانه وتعالى وتأثم الأمة بمخالفته.

وهذه الأمة قد بلغت الآن ملياري مسلم يمثلون خمسة وعشرين في المئة من سكان العالم تختلف أعراقهم وجنسياتهم ولغاتهم وقومياتهم وأقطارهم واقتصادياتهم وسياستهم وتمتد جغرافيات دولهم في قارتي آسيا وأفريقيا، وينتشرون في سائر الأرجاء والبقاع فلا تكاد تخلو دولة من وجود الإسلام فيها، وهم في حاجة ماسة للائتلاف والاجتماع لحفظ بيْضتهم وكيانهم ومكانتهم، ومواجهة التحديات الخارجية والداخلية التي تحيط بهم، ولتحقيق مصالحهم المشتركة أكثر من أيّ وقت مضى فقد تكالب عليهم الأعداء من كل جانب وصرحوا بما أخفوا سابقًا، لكن هم مع ذلك متفرقون متشرذمون، ولن يجمعهم ويؤلف بين قلوبهم: السياسة، أو الاقتصاد، أو المصالح المشتركة، أو غيرها، وقد جربوا كل ذلك، ولكن يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويقوي شوكتهم هذا الدين، فقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال: ٦٢، ٦٣).

قال ابن تيمية: «من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين فإن الله تعالى يقول: «فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ» (الأنفال: ١)، ويقول: «وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» (آل عمران: ١٠٣)، ويقول: «وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٠٥)، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف». (مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم: ٢٨/ ٥١).

ومن الأدلة المتكاثرة الداعية إلى الائتلاف والاعتصام والوحدة:

قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا

Upload by : altawhedmag.com

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء: ٩٢)، وقوله عز وجل: « وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » (المؤمنون: ٥٢)، وقوله سبحانه: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » (آل عمران: ١٠٣)، وقوله عز من قائل: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الحجرات: ١٠)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». (أخرجه مسلم: ٤٥٠١).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يخطب ويقول: «أيها الناس: اتقوا الله، وعليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الطاعة والجماعة خير مما تحبون في الفرقة». (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨٩٧١)، قال ابن قيم الجوزية: «مدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين.

فأما الاعتصام بحبله: فإنه يعصم من الضلالة.

والاعتصام به: يعصم من الهلكة.

فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل. والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلئم بها في طريقه». (مدارج السالكين: ١/ ٤٥٨).

وأعظم الناس حفاظًا على هذا الأصل هم أهل السنة وهم جمهور هذه الأمة وسودها الأعظم، قال ابن تيمية: «وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقًا وائتلافًا، وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب». (الانتصار لأهل الأثر ص: ٧٤).

فتحصل من الائتلاف وجمع الكلمة بين الأمة المسلمة فوائد منها:

١- طاعة الله ورضاه، ونيل الثواب في الدارين.

٢- تحقيق الأخوة الإيمانية.

٣- تحقيق التوازن المجتمعي والحضاري بين الأفراد والدول.

٤- تحقيق التكافل والتكامل الحقيقي في الاقتصاد.

٥- يحدث الائتلاف والاجتماع والاعتصام بالوحيين القوة التي تردع الأعداء.

٦- يرهب اجتماع الأمة الأعداء، ويحقق المهابة للأمة.

ذم الفرقة والاختلاف:

وقد ذم الله الفرقة والاختلاف والتنافر والتدابر والتشاحن والاقتتال بين المؤمنين أشد الذم، قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (الأنعام: ١٥٩)، وقال: « وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » (الروم: ٣١، ٣٢)، وقال: « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (الأنفال: ٤٦).

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم الأمة في آخر موقف جمعه بهم يوم النحر خطبة عظيمة جامعة حذرهم فيها من الفرقة والاختلاف، فعن عن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: «خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، قال: أتدرون أي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى.

قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى.

قال أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست بالبلدة الحرام؟ قلنا: بلى.

قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة

Upload by : altawhedmag.com

يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض». (أخرجه البخاري ١٧٤١، ومسلم: ٤٣٩٩).

وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. فقلت: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه». (أخرجه البخاري ٣١، ومسلم: ٧٣٥٥).

فتحصل من عقوبات الفرقة والتشاحن والتدابر:

١- غضب الرب سبحانه وتعالى على الأمة في الدارين.

٢- انتشار الشحناء والبغضاء بين الأفراد والمجتمعات والدول، وتقديم المصالح الخاصة على المصلحة العليا للأمة.

٣- اختلال ميزان التوازن المجتمعي والحضاري بين الأفراد والدول.

٤- الضعف الاقتصادي والتخلف الحضاري.

٥- الضعف والوهن وذهاب الريح أمام الأعداء.

٦- الذلة التي تغري أعداء الأمة على إهانتها والنيل منها.

ومن أمثلة هذه الفرقة والاختلاف والتنافر والتدابر والتشاحن داخل المجتمعات والدول الإسلامية الآن:

الاقتتال والتحزب والتفرق: في ليبيا، والسودان، ولبنان... والتي يسعى في تأجيجها أعداء الإسلام، والمرجفون ومن لا خلاق لهم ممن ينتمون لهذه الأمة.

ومن الأمثلة على هذا الوهن الذي أصاب الأمة وأغرى بها الأعداء وإن كانوا من أخس الأمم وأرذلها وأقلها عددًا: ما يفعله اليهود اليوم في قلب العالم الإسلامي من احتلال لفلسطين، واعتداء سافر على مقدساتهم وتدنيسهم للمسجد الأقصى واعتدائهم السافر على الضفة الغربية، وتدميرهم وانتهاكهم للنفوس والأرواح والمعمار والتجويع والحصار لأهل غزة حتى بلغ عدد الشهداء ما يقارب خمسة وستين ألفًا تقريبًا، وعدد المصابين مئات الآلاف، وعدد المهجرين داخل غزة بلغ مليوني مهجر، واعتداءهم السافر على لبنان وسوريا وإيران وقطر وتبجحهم بأن لا قوة في الأرض تمنعهم أو تقدر عليهم، وهذا مثال فقط لما يجري في شعوب العالم الإسلامي، وما كل ذلك إلا للوهن الذي أصاب الأمة جراء تفرقها وتشرذمها وبعدها عن الاعتصام بالوحيين.

الحث على جمع الكلمة، وإزالة الفرقة:

إن من أعظم الحسنات التي حث الله عليها رأب الصدع، وجمع الكلمة وحماية الصف من الفرقة إذا ما وقعت الفتنة واختلفت الكلمة، فذلك من أعظم الجهاد، والتقصير في ذلك لمن قدر عليه إثم وخذلان للأمة، وأعظم منه إثمًا من سعى في إيجاد الخلاف والتفرق في الأمة وسعى للوقيعة بينها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩، ١٠).

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة». (أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»).

نسأل الله أن يجمع الأمة على كلمة سواء، ويرفع الغمة عنها، وألا يجعل بأسها بينها شديدًا، وأن ينصرها على أعدائها، ويُمكّن لها في الأرض بمنّه ورحمته.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

مراحل تنزيل القرآن وكيفياتها

إعداد الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد:

فقد أنزل الله القرآن على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية، فكان نزوله حدثًا جللاً يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض، ومما لا خلاف فيه أن العلم بنزول القرآن مُهِمّ للغاية؛ لأنه أساسي للإيمان به، وأنه كلام الله سبحانه وتعالى.

ويُستفاد من الأخبار الصحيحة والآراء الموثوق بها من العلماء أن القرآن الكريم نزل من لدن الحق تبارك وتعالى على ثلاث مراحل أو ثلاث نزلات:

التنزيل الأول:

هو صدور القرآن وانبثاقه من الذات الإلهية إلى اللوح المحفوظ.

وهذا أمر من الأمور الغيبية الأزلية التي جاء بها الخبر الصادق ولزمنا الإيمان بها دون علم بكيفيتها؛ إذ لا يعلم كيفية ذلك إلا الله تعالى.

وكان هذا التنزيل جملة لا مفرقًا وصدق الله إذ يقول: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج: ٢١-٢٢). والظاهر أن تنزل القرآن إلى اللوح المحفوظ كان بطريقة وفي وقت لا يعلمه إلا الله، وكان جملة لا مفرقًا؛ فوجب الإيمان به مع تفويض علم كيفيته إلى الله عز وجل.

أما التنزيل الثاني:

فكان من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان: ٣)؛ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١)، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فقد دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أُنزل في ليلة واحدة تُوصف بأنها مباركة أخذًا من آية الدخان، وتسمى ليلة القدر أخذًا من آية القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذًا من آية البقرة، وإنما قلنا ذلك جمعًا بين هذه النصوص في العمل

Upload by : altawhedmag.com

بها. ومعلوم بالأدلة القاطعة أن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقًا لا في ليلة واحدة، بل على مدى سنين عديدة. فيتعين أن يكون هذا النزول الذي نوّهت به الآيات الثلاث نزولًا آخر غير النزول على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جاءت الأخبار الصحيحة مُبيّنة لمكان هذا النزول وأنه بيت العزة من السماء الدنيا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (فُصّل القرآن من الذكر، فوُضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال: (أنزل القرآن جملةً واحدةً إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض).

وقد ذكر الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان روايات عن ابن عباس بهذا المعنى وقال: أسانيدها كلها صحيحة. وهذا لا يقوله ابن عباس بمحض الرأي والاجتهاد، بل له حكم المرفوع. وإذا كانت هذه الآيات لا تنافي بينها فهي لا تتنافى في الواقع الثابت من أنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في غير شهر رمضان وليلة القدر؛ لأن ذلك في نزوله إلى السماء الدنيا كما علمت، وهذا في نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم مُنجّمًا (أي: مُفرّقًا) بحسب الوقائع والأحوال وجواب الأسئلة والأمثال في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة، أو خمس وعشرين سنة، على الخلاف في مدة إقامته في مكة بعد البعثة. وهذا البيان الذي ذكرناه في المراد من الآيات المذكورة وطرق الجمع بينها وهو الصحيح المعتمد حتى حكى بعضهم الإجماع عليه.

جدير بالذكر أنه قد ذهب فريق من أهل العلم، منهم السيوطي في الإتقان (٨٢/١)، والزركشي في البرهان (٢٢٨/١) إلى أن مراحل تنزيل القرآن مرحلتان: الأولى: نزوله جملةً واحدةً في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا. الثانية: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة.

التنزيل الثالث:

وهو المرحلة الأخيرة التي منها شع النور على العالم، ووصلت هداية الله إلى الخلق. وكان النزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥)، حيث كان ينزل به مفرقا على حسب الحوادث والأحوال حسب مشيئة الله تعالى فيوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان الله تعالى يجمعه له في صدره، وينطقه على لسانه، وصدق الله العظيم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦-١٧)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤).

وقد دام هذا التنزيل ثلاثة وعشرين سنة حيث ابتدأ من بدء الوحي بالآيات الأولى وانتهى بآخر ما أنزل من القرآن قبيل وفاته. (مناهل العرفان للزرقاني (٤٥/١- ٤٨) بتصرف).

حكمة تعدد التنزلات:

وقد استنبط العلماء لتعدد تنزلات القرآن الكريم حكماً كثيرة. قيل: فيه تفخيم لأمره، وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل، لأشرف الأمم ولقد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما "مفرقا" بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة، كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقاً، تشريفاً للمنزل عليه.

أول ما نزل من القرآن:

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعًا الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

Upload by : altawhedmag.com

(العلق: ١-٥)، ثم فتر الوحي مدة، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ١-٥).

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بقارئ» أي لست أعرف القراءة، فذكر الحديث، وفيه ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:١-٥)، وفيهما عن جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وهو يحدث في فترة الوحي: «بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء...» فذكر الحديث، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ١-٥).

وهناك آيات يقال فيها: أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين، فتكون أولية مقيدة مثل: حديث جابر رضي الله عنه في «الصحيحين» أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: «يا أيها المدثر»، قال أبو سلمة: أنبئت أنه: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت...» فذكر الحديث، وفيه: «فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا عليّ ماءً باردًا»، وأنزل علي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ١-٥)، فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل في شأن الرسالة لأن ما نزل من سورة «اقرأ» ثبت به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وما نزل من سورة المدثر ثبت به الرسالة في قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر:٢)، ولهذا قال أهل العلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ بـ «اقرأ» (العلق:١)، وأرسل بـ «المدثر» (المدثر: ١). (انظر: «البرهان في علوم القرآن» للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار التراث (٢٠٦/١)، وكتاب «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي- المتوفى سنة ١١٥٠هـ، مركز تفسير للدراسات القرآنية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر (١٤٣٦هـ) (١٦٦/١). اهـ. بتصرف).

آخر ما نزل من القرآن:

قال الإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي في كتابه «الزيادة والإحسان» (١٨٠/١): اختلف فيه، فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦)، وآخر سورة نزلت «براءة» أي سورة التوبة.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت (آية الربا)، يعني قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٨).

وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١).

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في «الاتقان»: ولا منافاة بين هذه الرواية وما سبق عن ابن عباس أن آخر ما نزل «آية الربا»: لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح. اهـ.

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين.

Upload by : altawhedmag.com

وأيضًا لا منافاة في هذه الرواية، لكون آية الدين من تمام آية الربا، وقوله تعالى: «واتقوا» فالجواب عنه كالأول. وأما قول البراء: آخر ما نزل «يَسْتَفْتُونَكَ» (النساء: ١٧٦) فلعله في شأن الفرائض. اهـ. (من الزيادة والإحسان لابن عقيلة).

وقال الزرقاني في «مناهل العرفان» (٩٧/١): اختلف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، واستند كل منهم إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا من دواعي الخلاف على أقوال شتى:

الأول: آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: (الآية ٢٨١): «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس. كذلك أخرج ابن أبي حاتم قال: آخر ما نزل من القرآن كله: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» (البقرة:٢٨١) الآية. وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

الثاني: آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضًا (الآية ٢٧٨): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر.

الثالث: إن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضًا (الآية ٢٨٢): قوله سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» إلى قوله سبحانه: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (البقرة:٢٨٢). وهي أطول آية في القرآن. أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب: «أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدين».

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي رحمه الله من أن الظاهر أنها أنزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح.

قال الزرقاني: ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولًا هو قوله الله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة: ٢٨١).

وذلك لأمرين: أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحثّ عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوّه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله.

وذكر آيات آخر عدها فريق من أهل العلم على أنها آخر ما نزل مثل آية الكلالة، وهي قوله سبحانه وتعالى: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» (التوبة: ١٧٦) وأن آخر سورة نزلت سورة «براءة» أي سورة التوبة.

ومن الآيات التي ذكرها أنها آخر ما نزل خاتمة سورة براءة «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ» (التوبة: ١٢٨) إلى آخر السورة.

وذكر أقوالًا أخر، ثم قال رحمه الله: (ورأيت أن الذي تستريح إليه النفس أن آخر القرآن نزولًا على الإطلاق قول الله في سورة البقرة: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة: ٢٨١).

وأن ما سواها أو آخر إضافية أو مقيَّدة بما علمت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

المحافظة على الأسرار

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعدُ: فإنَّ الأسرار لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وإفشاء الأسرار يترتب عليها كثير من الأضرار على الفرد وعلى المجتمع. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

السِّرُّ: هو كل ما يكتمه الإنسانُ ويُخفيه في نفسه، فلا يُخبر به أحدا، وذلك لجلب مصلحة أو لدفع ضرر، أو يخص به من يثق به دون سواه.

نبينا يوصينا بحفظ الأسرار

عنْ جابرِ بنِ عبْدِ اللهِ، رضيَ اللهُ عنْهُما، قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم: إذا حدَّثَ الرَّجُلُ بالحديثِ ثمَّ التفتَ فهيَ أمانةٌ. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٤٠٧٥).

قوله: (ثمَّ التفتَ): أي: التفتَ الرجل المتحدث يمينا وشمالا؛ حذرا واحتياطا من أن يسمع كلامه أحد غير الذي يتحدث إليه.

حفظ الأموال أيسر من حفظ الأسرار

قال الماوردي: "إنَّ من الأسرار ما لا يُستغنى فيه عن مطالعة صديقٍ مُساهم، واستشارة ناصح مُسالم. فليختر العاقل لسرِّه أمينا إن لم يجدْ إلى كتمه سبيلا، وليتحرَّ في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه إياه. فليس كل من كان على الأموال أمينًا كان على الأسرار مؤتمنا. والعفةُ عن الأموال أيسرُ من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأنَّ الإنسان قد يُذيع سرَّ نفسه ببادرة لسانه، وسقط كلامه، ويشحُّ باليسير من ماله، حفظا له وضنا به، ولا يرى ما أذاع من سرِّه كبيرًا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه. فمن أجل ذلك كان أمناءُ الأسرار أشدَّ تعذرًا وأقلَّ وجودًا من أمناء الأموال. وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار؛ لأنَّ إحراز الأموال منيعةٌ وإحراز الأسرار بارزةٌ يُذيعُها لسانٌ ناطقٌ. (أدب الدنيا والدين - ص٣٠٧).

تربية الأطفال على حفظ الأسرار

يجب على الآباء تربية أطفالهم على حفظ الأسرار، حتى ولو عن أقرب الناس إليهم، فإنَّ هذه التربية تغرس فيهم حُسن الأخلاق والمبادئ التي تنفعهم في شبابهم وتؤدي إلى اكتساب ثقة الناس فيهم. لقد اهتمَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتربية الأطفال على حفظ الأسرار، كما فعل مع أنس بن مالك وعبد الله بن جعفر.

إنَّ تربية الأطفال على حفظ الأسرار يُسهمُ في تكوين إرادة الطفل الواعية الفاعلة وذلك لأن الطفل يريد أن يتكلم بما يملك من معارف أو معلومات، فعندما تدربه على حفظ السر فإنه

Upload by : altawhedmag.com

يتدرب على بذل جهد نفسي مخالف لطبائع الطفولة الفطرية. فإذا نما جُعل حفظ السر فيه، بعض الصفات الطيبة تنمو مع هذا الخُلق مثل: قوة الإرادة وانضباط اللسان ورباطه الجاش، مما يتسبب في غرس الثقة الاجتماعية ونمو بذرة القوة في نفس الأطفال. (المنهاج النبوي- ص٢١٩).

الوسائل المساعدة على حفظ أسرار الناس

نستطيع أن نُوجز الوسائل التي تساعد المسلم على المحافظة على أسرار الناس في الأمور التالية:

(١) استحضار مراقبة الله تعالى للناس. يجب على المسلم أن يعلم بأن الله مُطلع على كل خافية، فلا يعصيه بإفشاء أسرار الناس.

(٢) حُبُّ الخير لكل مسلم، ومعرفة أن هناك ضررًا قد يقع على صاحب السر إذا أظهره للناس.

(٣) استشعار الضرر الذي يقع على المسلم من إفشاء سره فلربما لحقه أذى عظيمٌ من إفشاء سره: فقد تكون زوجة تُطلّق أو موظفًا يفقد وظيفته، أو قريبًا يهجره أقاربه، أو صديقًا تنقطع المودة بينه وبين باقي أصدقائه.

(٤) إفشاء الأسرار مظلمة لأخيك المسلم يجدها يوم القيامة ويُحاجُك بها عند الله عز وجل.

(٥) من صفات المؤمن الصادق: المحافظة على العهد وعدم إفشاء ما يسمع من أخيه المسلم.

(٦) الإنسان بإفشاء الأسرار يفقد نعمة عظيمة، وهي نعمة مشاورة الناس له واختيارهم له وثقتهم فيه. (حفظ الأسرار- مكتبة دار القاسم- ص١٢).

فوائد حفظ الأسرار

(١) حفظُ السرّ يُمكّن الإنسان من قضاء مصالحه.

(٢) حفظُ السرّ من أنواع الأمانة، والأمانة من علامات الإيمان.

(٣) كتمان السرّ دليل على الرزانة والوقار.

(٤) حفظ السرّ فضيلة إنسانية بها يرتقي المرء في درجات الكمال.

(٥) حفظُ السرّ يُوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره.

(٦) حفظُ السرّ يؤدي إلى توثيق المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره.

(٧) حين يثق الإنسان بأن صاحبه يحفظ أسراره يمهد ذلك له استشارته فيما لا يحب أن يطلع عليه الناس. (موسوعة نضرة النعيم- جـ٨- ص٣٢١٣)

التحذير من إفشاء الأسرار في القرآن والسنة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

يجب على المسلم أن يحفظ أسرار الناس فيكتمها، فإن نشرها كان خائنًا للأمانة والعهد. ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يحفظ أسراره، وخاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ هذا السر وعدم إخبار أحد من الناس.

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه، ثم ينشر سرها. (مسلم- حديث ١٤٣٧).

قال الإمام النووي: في هذا الحديث تحريمُ إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه. (صحيح مسلم بشرح النووي- جـ١٠- ص٨).

إفشاء الأسرار دليل على ضعف الإيمان

روى أحمدُ عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له. (صحيح الجامع- للألباني- حديث:٧١٧٩)

إفشاء الأسرار من صفات المنافقين

الإنسان الذي يُفشي الأسرار خائنٌ للأمانة التي ائتمنه الناس عليها، والخيانة من صفات المنافقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. (البخاري- حديث:٣٣ / مسلم- حديث:١٠٧).

خطورة إفشاء أسرار الأسرة

المحافظة على الأسرار بين أفراد الأسرة سبيل سعادتها، ونشر أسرارها سبيل هدم الأسرة.

أسباب إفشاء الأسرار

نستطيع أن نُوجز أسباب إفشاء أسرار الناس في الأمور التالية:

(١) العُجْب والفخر، وذلك بإظهار علمه بشيء لا يعلمه غيره.

(٢) من طبيعة الإنسان حبُّه إتيان ما مُنع منه.

Upload by : altawhedmag.com

فإن المحظور يُغري بارتكابه إن لم تكن هناك عصمة من خلق أو دين.

(٣) النكاية أو التشهير. فإن إفشاء السر يؤذي صاحب السر إيذاءً شديداً.

(٤) الاستفادة من هذه الأسرار التي عرفها. (حفظ الأسرار - مكتبة دار القاسم - ص١١).

أقوال السلف في ذم إفشاء الأسرار

قال الحسن البصري: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. (الصمت- لابن أبي الدنيا- ص٢١٤).

قال ابن حبان: من استُودع حديثاً فليستر، ولا يكن مهتاكاً ولا مشياعاً؛ لأن السر إنما سُمي سراً لأنه لا يُفشى. (روضة العقلاء- لابن حبان- ص١٩٠).

قال الماوردي: إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمنا، أو النميمة إن كان مستودعا. (أدب الدنيا والدين - ص٣٠٧)

قال ذو النون المصري: من أفشى السّر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها. (إحياء علوم الدين- جـ٢- ص١٩٥)

حكم إفشاء الأسرار

يحرم إفشاء أسرار الناس، وخاصة أسرار الماضي، كالوقوع في الذنوب والمعاصي، فالستر هو الواجب. قال الإمام أبو الحسن الماوردي: وجب على المستودَع للسر أداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسي له حتى لا يخطر له ببال ولا يدور له في خلد، ثم يرى ذلك حرمة يرعاها ولا يدل إدلال اللئام. (أدب الدنيا والدين- للماوردي- ص٣٠٩).

قال ابن عثيمين: السر: هو ما يقع خفية بينك وبين صاحبك، ولا يحل لك أن تفشي هذا السر أو أن تُبيّنه لأحد، سواء قال لك: لا تبينه لأحد أو علم بالقرينة الفعلية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحدٌ أو علم بالقرينة الحالية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.(شرح رياض الصالحين- جـ٤- ص٣٦).

نماذج لحفظ الأسرار

(١) عن ثابت البُناني عن أنس، رضي الله عنه، قال: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت. (مسلم- حديث ٢٤٨٢).

(٣) وعن إبراهيم، قال: ذهب علقمة إلى الشام، فلما دخل المسجد، قال: اللهم يسّر لي جليسا صالحا، فجلس إلى أبي الدرداء، رضي الله عنه، فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم، أو منكم، صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، يعني حذيفة، قال: قلت: بلى. (البخاري- حديث: ٣٧٤٣).

- قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: كان حُذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، صاحب السّرّ الذي لا يعلمه غيره حتى خصه النبيّ، صلى الله عليه وسلم، بمعرفة أسماء المنافقين. (فتح الباري- للعسقلاني- جـ٣- ص٣٧)

هل يجوز إفشاء السر للمصلحة؟

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: الستر على الناس شيمة الأولياء، فضلاً عن الأنبياء، وإنما قال يوسف عليه السلام: (هي راودتني عن نفسي) (يوسف٢٦)، ليدفع عن نفسه ما قد يتعرض له من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله: (ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) (يوسف: ٥٠)، ليدفع التهمة عن نفسه؛ فإن الملك لو اتهمه لم يوله، ولم يحصل على إحسان الولاية. ويُستفاد من كلامه رحمه الله: أنه يجوز إفشاء السر إذا كان في ذلك مصلحة، أو دفع ضرر. (الخلاصة في آفات اللسان- ص٥٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

Upload by : altawhedmag.com

ورحل الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز آل شيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

موت العلماء من المصائب التي تقع على الأمة، وهي مصيبة تصيب الأرض وأهلها، وثلمة في الدين لا يسدها شيء، فهم نجوم الأرض التي يهتدي الناس بها إذا أعيتهم المسائل، فإذا ذهبوا ذهب بذهابهم كثير من العلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّه لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (متفق عليه)

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال: ذهاب العلماء، ولا يزال عالم يموت، وأثر للحق يُدرس، حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل».

ومما وقع بالأمة من المصاب في هذه الأيام موت كثير من علمائها، ومن آخرهم فضيلة الشيخ: عبد العزيز آل شيخ، المفتي العام الثالث للمملكة العربية السعودية، والذي توفي يوم الثلاثاء الأول من شهر ربيع الآخر ١٤٤٧ هـ، الموافق: ٢٣ من سبتمبر ٢٠٢٥م، عن عمر يناهز ٨٢ عامًا رحمه الله تعالى، وتلك ترجمة مختصرة له:

اسمه: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

مولده - رحمه الله تعالى-: ولد بمكة المكرمة، يوم الثلاثاء، الثالث من شهر ذي الحجة، لعام اثنين وستين وثلاثمائة وألف لهجرة النبي ١٣٦٢/١٢/٣ هـ، الموافق للثلاثين من شهر نوفمبر لسنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف بالإفرنجي ٣ / ١١ / ١٩٤٣ م.

وقد عاش يتيمًا رحمه الله تعالى، فقد توفي والده وهو صغير لم يتجاوز الثامنة من عمره في عام: ١٣٧٠ هـ.

وكان منذ ولادته ضعيف البصر جدًا، وفقد بصره تمامًا عام ١٣٨١ه بعد عملية جراحية أجريت له، وله من العمر حوالي: تسع عشرة سنة.

نشأته العلمية: حفظ القرآن صغيرًا في عام: ١٣٧٣ هـ، وله من العمر أحد عشر عامًا على يد الشيخ محمد بن سنان، ثم

Upload by : altawhedmag.com

توجه بعد ذلك لطلب العلم، ومن شيوخه الذين تلقى عنهم العلم:

١- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية.

٢ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء.

٣ - الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشد.

٤- الشيخ عبد العزيز الشثري.

وقد حصل على شهادة الليسانس في العلوم الشرعية واللغة العربية في كلية الشريعة بالرياض في العام الجامعي ١٣٨٣ / ١٣٨٤ هـ.

مناصبه:

عين مدرّسًا بمعهد إمام الدعوة العلمي، في أول جُمادى الآخرة ١٣٨٤هـ.

وعين إمامًا وخطيبًا في جامع الشيخ محمد بن إبراهيم بدُخْنة بالرياض بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم، عام ١٣٨٩هـ.

ثم عين أستاذًا مساعدًا بكلية الشريعة، في ٧ جُمادى الأولى ١٣٩٩هـ.

ثم أستاذًا مشاركًا بكلية الشريعة، في ١٣ ذي القَعْدة ١٤٠٠هـ.

وعين إمامًا وخطيبًا بمسجد نمرة في عَرَفة، من عام: ١٤٠٢هـ إلى عام: ١٤٣٦هـ.

وعين عضوًا في هيئة كبار العلماء، في شهر شوّال ١٤٠٧هـ.

وعين عضوًا متفرغًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، في ١٥ رجب ١٤١٢هـ.

وإمامًا وخطيبًا في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، في شهر رمضان ١٤١٢هـ.

ثم عين نائبًا للمفتي العام للمكلة بمرتبة وزير، في ٢٥ شعبان ١٤١٦هـ.

ثم تولى منصب المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء والبحوث العلمية والإفتاء، في ٢٩ المحرّم ١٤٢٠ه، فكان ثالث المفتين في تاريخ المملكة بعد كلٍّ من: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي توفي: في شهر شعبان من عام: ١٣٨٩هـ، ثم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والذي توفي في أواخر عام: ١٤١٩ هـ.

وقد تولى سماحة الشيخ عبد العزيز آل شيخ منصب المفتي العام للمملكة العربية السعودية لمدة ٢٧ عامًا تقريبًا.

ومن مؤلفاته:

- كتاب جامع خطب عرفة، وقد خطب سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في عرفة لمدة ٣٥ عامًا متواصلة من عام ١٤٠٢هـ إلى ١٤٣٦هـ.
- كتاب حرمة الإفساد في الأرض.
- كتاب حقيقة شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- مجموع ورسائل وفتاوى عبد العزيز آل الشيخ.
- فتاوى نور على الدرب.
- رسالة: كتاب الله عز وجل ومكانته العظيمة.
- كتاب لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية.
- رسالة في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

فرحمة الله تعالى على الشيخ العلامة الإمام، وأسكنه الفردوس الأعلى.

Upload by : altawhedmag.com

الأسرة والتنشئة الدينية للطفل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يمر بها الانسان، حيث تؤثر في تكوين شخصيته، وللتنشئة السليمة في تلك المرحلة تأثيرًا ايجابيًا ينعكس على سلوك الأطفال، وذلك عند تعاملهم مع الآخرين. والأسرة هي الخلية الأولى لأيّ مجتمع، وعلى قدر قوتها وتماسكها تكون قوة المجتمع ويكون صموده وتماسكه، فالأسرة هي المدرسة الأولى للأبناء، والمنزل هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع. وفي الأسرة المسلمة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المودة والرحمة والمحبة والتعاون ينشأ رجال الأمة ونساؤها وقادتها وعظماؤها.

إعداد
د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة سابقا

وغالبًا ما ينشغل الآباء بالسعي على الرزق وتوفير متطلبات الحياة المادية وتوفير سبل العيش الكريم من مأكل وملبس ومسكن ورفاهية؛ ظنًا أنهم بذلك قد قاموا بواجباتهم تجاه أبنائهم على أكمل وجه.

وهناك جانب مهم في التربية لا يقل أهمية عن الجانب المادي، وهو الجانب الروحي في تربية الأبناء، فلا بد من تنميته واذكائه وغرسه لدى الأبناء، وذلك بأن نُرسّخ في نفوسهم منذ الصغر العقيدة الصحيحة الصافية التي تتمثل في الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن وتعليمهم فضائل الأخلاق وآداب الاستئذان والاحترام وتشجيعهم على الجهر بالحق وقول الصدق دائمًا.

والشعور الديني لدى الطفل يمكن تعميقه بالتربية وذلك بغرس القيم الدينية والأخلاقية لدى الطفل منذ صغره ورفع المعاني الايمانية وتبصير الطفل بنعم الله تعالى وعجائب قدرته وابداعه في خلقه واتصافه بصفات الكمال كما يجب تعليم الطفل مبادئ الأحكام الفقهية حسب كل مرحلة من عمره وتبصيره بالحسن والقبيح من الأعمال والأخلاق وتنوير فكرة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والتابعين الصالحين بما يتناسب مع مداركه العقلية واستعداداته الفكرية.

ولابد أن نحدث أطفالنا عن إيمانهم وعن قيمهم الأخلاقية وعن عقيدتهم، وعلى الآباء والمربين أن يطوروا إيمان هؤلاء الصغار بطريقة عصرية وأمينة وصادقة، فالإيمان الحق مطابق

Upload by : altawhedmag.com

للتقاليد القويمة وموافق لعملية التقرب إلى الله والإخلاص في عبادته. كما يجب على الآباء والمربين بناء قاعدة دينية قوية لدى الأطفال وهم في سن مبكرة، ولا تنتهي هذه الرابطة أبدًا حتى بعد الخروج من المسجد.

كما يجب على الآباء أن يهتموا بمراقبة أبنائهم والعمل دائمًا على اقتلاع الجوانب السلبية في سلوكهم ومحاربتها عن طريق بيان خطورتها مثل: الكذب- سوء الظن- السباب... إلخ. على أن يكون ذلك كله في إطار من الرفق واللين.

الدين وتربية الطفل:

مرحلة الطفولة هي المرحلة المناسبة لتعليم أطفالنا أصول دينه ومبادئه البسيطة وقيمه لأن هذا يعطيه الإحساس بالأمان والطمأنينة. فالتربية الدينية للأطفال وغرس القيم الأخلاقية من أكثر مسئوليات الأم أهمية؛ فتدريب الطفل على الصلاة والصيام، ليس عملية تلقائية أو سهلة، وإنما تتطلب بذل الجهد .. وتدخل الصلاة ضمن العادات التي لا بد أن يعتاد الطفل عليها في حياته؛ حيث تتكون العادات منذ الصغر لتصبح حالة عامة وراسخة داخل الفرد، والأسرة هي المسئولة عن تكوين هذه العادات الإيجابية التي تغرسها في الطفل، وبالتالي يقع على كاهل الأسرة تدريب أطفالها على الصلاة؛ وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم بتعليم الأبناء الصلاة عند سبع سنين، وأمرنا بضربهم عند عشر، وأمرنا أيضًا أن نُفرّق بينهم في المضاجع. فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع) (رواه أحمد).

ويجب أن نعلم الطفل العبادات كلها منذ الصغر، ونعلمهم تأديتها بالصورة العميقة التي ينبغي أن تكون عليها، حتى تساهم في تنمية التطور الروحي لعقول صغارنا.

لقد أمرنا الإسلام على تنشئة الطفل المسلم على أخلاق الإسلام وعباداته وأمرنا أن نُعلّمه كيف يجلس وكيف يأكل وهذه مسئولية الآباء أو المتولي أمر تربية الطفل.

كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن لقيم الإسلام الصحيحة أثرًا بعيدًا في تربية الطفل؛ إذا تلقاها في المدرسة أو في الأسرة. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم". ولا يتأتى اكتساب القيم وتمثلها إلا من خلال القدوة الصالحة، واقتران القول بالعمل؛ لأن تباينهما يولد اضطرابًا نفسيًا لدى الطفل، مما ينعكس على سلوكه.

لقد عني الإسلام بتربية السلوك الفاضل لدى الأطفال عن طريق بث الآداب الاجتماعية وغرسها في نفوس الأطفال. فيكلف الكبار بأن يعلموا الصغار آداب السلوك والاستئذان عند الدخول. فيقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾ (النور:٥٨).

تنمية الضمير لدى الطفل:

الأطفال هبة عظيمة من الله للإنسان، فهم زينة الحياة الدنيا، وجميع الآباء يحلمون بتربية أطفالهم على التميز بين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ، وإحياء الضمير الإنساني في وجدانهم ذلك الوازع الداخلي الذي يبعث لديهم جرعة من الشعور بالذنب كلما أوشكوا أن يحيدوا عنه.

والضمير لا يُولد مع الأطفال، ولكن يظهر الضمير في سلوك الطفل تدريجيًا، ففي بداية حياة الطفل يرغب في الإشباع المباشر لحاجاته بصرف النظر عن الاعتبارات الخلقية أو العملية، لذلك مهمة غرسه في نفوس أطفالنا

Upload by : altawhedmag.com

مهمة شاقة تحتاج إلى جهد ومثابرة وعمل دؤوب ومستمر.

ويُعتبر نموّ الضمير في مرحلة الطفولة من أهم الفترات النمائية في حياة الطفل النفسية؛ حيث إن الأطفال في هذه الفترة يتعلمون باختصار "الخطأ" و"الصواب"، ويطبقون هذه الأحكام على سلوكهم الخاص.

وتبدأ بوادر نمو الضمير عند السنة الثانية من عمر الطفل، عندما يكتسب تحريم أفعال معينة "لا تقترب من الكتب" و"لا تفتح الخزانة".. إلى غير ذلك من التحريمات التي يكتسبها الطفل تدريجيًا، ومع تقدم العمر لا يقتصر الضمير على تلك الأوامر والنواهي البسيطة بل يتسع ليشمل معايير أكثر تعميمًا؛ حيث قد يتعلم الطفل أيضًا أن يكون "أمينًا" و"مطيعًا" و"لا يكذب" و"لا يأخذ شيئًا إلا بعدما يؤذن له " و"يحترم حقوق الآخرين".. وهكذا.

وعلى الآباء تنمية الضمير في نفوس الطفل عن طريق الإحساس بالتعاطف من جانب الطفل تجاه الغير، وتعليمة الشعور بالذنب. فمثلًا إذا ضرب الطفل صديقة بلعبته على رأسه في المدرسة، هنا يجب أولًا أن نساعده على إدراك أن ما فعله جعل صديقه يبكي، كذلك مساعدته على فهم حقيقة الخطأ الذي ارتكبه وما يترتب عليه من تبعات، وعلينا أن نسأله كيف سيكون شعوره لو كان هو من تعرض للضرب؟ فهنا المهم أن يشعر بالذنب ولو بقدر قليل. فهذا علامة صحيحة تدل على أنه نادم على ما فعله، كما يجب وضع ضوابط وحدود لتصرفات الطفل بمعنى تأديبه حين يخطئ، وكلمة تأديب لا تعني تعذيب الطفل أو تعنيف الطفل بل لفت انتباه الطفل باستمرار إلى نتائج الخروج عن السلوك غير المرغوب فيه.

كذلك يجب على الأسرة الاقتراب من الطفل وتخصيص الوقت الكافي لرعايته ومشاركته أوقات اللعب والفراغ. فالاهتمام بالطفل وزيادة الألفة من جانب الآباء تجاه الطفل تجعله أكثر ميلًا واستعدادًا للاستماع إلى توجيهاتهم مع تقدمه في السن.

إن العبادة خير وسيلة لتربية ضمير الإنسان ومشاعره بما في ذلك الشعائر المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج، وكذلك كل عمل أو فكر أو شعور طيب يتوجّه به الإنسان إلى الله، وكل عمل أو فكر أو شعور خبيث يتركه الإنسان تقربًا إلى الله واحتسابًا، ومن أجل أطفالنا يجب على الأسرة المسلمة، الالتزام بالقواعد التالية في تربية وتنشئة أطفالها وهي:

العمل على تنمية الوعي الإسلامي لدى الأطفال، وغرس المبادئ الإسلامية في نفوسهم.

ضرورة تقوية الوازع الديني وتقديم القدوة الحسنة والنموذج الطيب للطفل.

البدء بتحفيظ الطفل السور القصيرة من القرآن الكريم، فكلما عمل الدماغ وتمرن بشكل أكبر كلما نضج تفكيره بشكل أسرع.

معاملة الطفل معاملة حسنة مليئة بالحب والرحمة والدفء العاطفي.

تربية الأطفال على الحرية في إبداء الرأي دون خوف أو قلق.

تنمية حب البيئة والمحافظة على البيئة التي من حولنا في نفوس أطفالنا عن طريق حب الخضرة والنظافة والجمال.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تذكرة أولي الألباب بمشروعية الحجاب

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فنحن على موعد مع بركة من بركات أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: ألا وهي نزول الحجاب في صبيحة عرسها رضي الله عنها: حيث أنزل فيها آية الحجاب، وأسبل عليها أثواب الثياب، ويكفيها ذلك شرفًا. (المقتفى ١٠٥).

ونعود في ذلك إلى أنس رضي الله عنه ليقصّ علينا بداية الحدث: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب "لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت معه في البيت صنع طعامًا ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، إلى قوله ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: ٥٣) فضرب الحجاب وقام القوم. (صحيح البخاري: ٤٧٩٢ و٤٧٩٤).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: تاريخ مشروعية الحجاب، وهو نفس تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها.-وقد سبق- وقال ابن كثير: وفي صبيحة عرسها نزل الحجاب، كما أخرجاه في الصحيحين عن أنس، وأنه حجبه حينئذ.اهـ.

وقد اختلف العلماء في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها: فقيل: إنه كان في العام الثالث من الهجرة، وهو قول خليفة بن خياط، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وابن منده، (وهو ما نختاره)، جمعًا بينه وبين ما وقع في المريسيع وأنها كانت بعد نزول الحجاب، وقيل: سنة أربع، وصححه ابن جماعة، ومغلطاي، والمقريزي، وقيل: سنة خمس، ورجحه ابن كثير، وابن الجوزي. (الفصول (٢٤٦)، والأغصان الندية (٢٥٢)، والمنتظم (٣/ ٢٢٥).

وقد استُشكل بما ذكره غيرُ واحد: أنه صلى الله عليه وسلم تزوج زينب في ذي القعدة سنة خمس، وكانت غزوة بني المصطلق قبلها في السنة في شعبان، لكن حكى أبو عمر عن أبي عبيدة: أنه تزوجها في سنة ثلاث، وعلى هذا القول يصح اجتماعهما في حديث الإفك الواقع في غزوة بني

Upload by : altawhedmag.com

المُصْطلق. (اللامع الصبيح: ١١ / ٢١٣).

وقال السخاوي: فيكون تزويج زينب قبل شعبان سنة أربع، فإن ثبت كونه في ذي القعدة فليكن في سنة ثلاث، وسواء كانت المريسيع في سنة أربع أو بعدها. (التجريد على التنقيح: ٢ / ٣٠٣).

الثانية: في ذكر آية الحجاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

والآية تتضمن أمرين: أحدهما: الأدب في الحضور للطعام، والجلوس بعده، والثاني: يتعلق بأمر الحجاب لزوجاته صلى الله عليه وسلم. (التفسير الوسيط: ٨/ ٢١٣).

الثالثة: ذكر سبب نزول آية الحجاب: وقد صح في ذلك ثلاث روايات:

أولها: ما سبق في حديث أنس رضي الله عنه في نزول الحجاب صبيحة عرس زينب رضي الله عنها.

وقال ابن الملقن: وكان السبب فيه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج زينب بنت جحش، وأولم عليها، فأكل جماعة وهي مولية وجهها الحائط، ولم يخرجوا فانتظر صلى الله عليه وسلم خروجهم وجلسوا يتحدثون؛ فنزلت آية الحجاب. (التوضيح: ٤/ ١٢٢و٥/ ٤١٢).

ثانيها: عن أنس، قال: قال عمر: "وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله آية الحجاب..." (صحيح البخاري: ٤٤٨٣ و٤٧٩٠).

وقال القرطبي: ويزول ذلك الإشكال بأن يقال: إن الآية نزلت عند مجموع السببين؛ فيكون عمر قد تقدم قوله: احجب نساءك، وكرر ذلك عليه إلى أن اتفقت قصة بناء زينب؛ فصدقت نسبة نزول الآية لكل واحد من ذينك السببين. (المفهم: ٥/ ٤٩٦).

ثالثها: عن عائشة أن عمر رضي الله عنه قال: "احجُبْ نساءك، فلم يكنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يفعل"، فخرجت سودةُ زوجُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ليلةً من الليالي عشاءً، وكانت امرأةً طويلةً؛ فناداها عمرُ: ألا قد عرفناكِ يا سودةُ؛ حرصًا على أن ينزل الحجابُ، فأنزل الله آيةَ الحجاب. (البخاري: ١٤٦).

قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب. فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: خرجت سودة بعدما ضُرب الحجابُ لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمرُ بنُ الخطاب فقال: يا سودةُ، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرُجين؟ قالت: فانكفأت راجعةً فقالت: يا رسول الله، إني خرجتُ لبعض حاجتي، فقال لي عمرُ كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه، ثم رُفع عنه وإن العرق في يده، ما وضعه، فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرُجن لحاجتكن". (البخاري ٤٧٩٥). وابن كثير (٦/ ٤٥٤).

وجمع ابن حجر بين الروايات فقال: ثم نزل الحجابُ؛ فتستترن بالثياب لكن كانت أشخاصهن ربما تتميز، ولهذا قال عمر لسودة في المرة الثانية بعد نزول الحجاب: أما والله ما تخفين علينا... وطريق الجمع بينها أن أسباب نزول الحجاب تعددت وكانت قصة زينب آخرها للنص على قصتها في الآية. (فتح الباري: ١/ ٢٤٩).

الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي في الأمور الشرعية؛ لأنه لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة إليه حتى نزلت الآية وكذا في إذنه لهن بالخروج، والله أعلم. (فتح الباري: ١/ ٢٥٠). قلت: وهكذا ينبغي أن يكون؛ بحيث لا نكون إلا خلف الوحي.

الخامسة: قال ابن حجر: وفي الحديث من الفوائد مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين؛ قال عياض: فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز، ثم استدل بما في الموطأ أن حفصة لما توفي عمر

Upload by : altawhedmag.com

سترها النساءُ عنْ أنْ يُرى شخصُها، وأنَّ زينبَ بنتَ جحشٍ جُعلتْ لها القبةُ فوقَ نعشِها؛ ليستُرَ شخصُها انتهى. وليس فيما ذكرهُ دليلٌ على ما ادَّعاهُ من فرضِ ذلكَ عليهنَّ، وقدْ كنَّ بعدَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم يحجُجْنَ، ويطُفْنَ وكانَ الصحابةُ ومنْ بعدَهُمْ يسمعونَ منهنَّ الحديثَ، وهنَّ مستترات الأبدانِ لا الأشخاصِ. وقد تقدم في الحج قول ابن جريج لعطاء لما ذكر له طواف عائشة قبل الحجاب، أو بعده قال: قد أدركت ذلك بعد الحجاب.

السادسة: فيه منقبة لأنس رضي الله عنه من قوله: "وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب" أي: بسبب نزوله وإطلاق مثل ذلك جائز للإعلام لا للإعجاب.

وقولُه "وقدْ كانَ أبيُّ بنُ كعبٍ يسألُني عنْهُ" فيه إشارةٌ إلى اختصاصه بمعرفته لأنَّ أبيَّ بنَ كعبٍ أكبرُ منهُ علمًا وسنًّا وقدرًا. (فتح الباري: ٨/ ٥٣٠). وفيه منقبة لأبيٍّ رضي الله عنه؛ وفيه الرجوع للمختص بعلم ما، ولو كان دون الراجع بصفة عامة.

السابعة: في بيان القول الراجح، وهو أن الحجاب عام لجميع المؤمنات؛ لعموم العلة المذكورة

قال الشنقيطي: قولُ كثيرٍ منَ الناسِ إنَّ آيةَ الحجابِ خاصةٌ بأزواجِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم، لا يصح؛ لأنَّ في نفسِ الآيةِ قرينةً تدلُّ على عدمِ صحةِ ذلكَ القولِ؛ وذلكَ أنَّ تعليلَه -تعالى- لهذا الحكمِ الذي هو إيجابُ الحجابِ بكونِه أطهرَ لقلوبِ الرجالِ، والنساءِ منَ الريبةِ، في قولِه تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ» قرينةٌ واضحةٌ على إرادةِ تعميمِ الحكمِ؛ إذْ لمْ يقلْ أحدٌ منْ جميعِ المسلمينَ إنَّ غيرَ أزواجِ النبيِّ -صلى اللهُ عليه وسلَّم- لا حاجةَ إلى أطهريةِ قلوبِهنَّ، وقلوبِ الرجالِ منَ الريبةِ منهنَّ.

وقدْ تقرَّرَ في الأصولِ: أنَّ العلةَ قدْ تُعمَّمُ معلولُها، وبما ذكرنا تعلمُ: أنَّ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ الدليلَ الواضحَ على أنَّ وجوبَ الحجابِ حكمٌ عامٌّ في جميعِ النساءِ، لا خاصٌّ بأزواجِه صلى اللهُ عليه وسلَّم، وإنْ كانَ أصلُ اللفظِ خاصًّا بهنَّ؛ لأنَّ عمومَ علتِه دليلٌ على عمومِ الحكمِ فيه، ومسلكُ العلةِ الذي دلَّ على أنَّ قولَه تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ» هو علةُ قولِه تعالى: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، هو المسلكُ المعروفُ في الأصولِ بمسلكِ الإيماءِ والتنبيهِ، وضابطُ هذا المسلكِ المنطبقِ على جزئياتِه، هو أنْ يقترنَ وصفٌ بحكمٍ شرعيٍّ على وجهٍ لو لمْ يكنْ فيه ذلكَ الوصفُ علةً لذلكَ الحكمِ؛ لكانَ الكلامُ معيبًا عندَ العارفينَ... فقولُه تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ»، لوْ لمْ يكنْ علةً؛ لقولِه تعالى: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، لكانَ الكلامُ معيبًا غيرَ منتظمٍ عندَ الفطنِ العارفِ.

وإذا علمتَ أنَّ قولَه تعالى: «ذلكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهنَّ»، هو علةُ قولِه: «فاسألوهنَّ منْ وراءِ حجابٍ»، وعلمتَ: أنَّ حكمَ العلةِ عامٌّ؛ فاعلمْ: أنَّ العلةَ قدْ تُعمَّمُ معلولُها، وقدْ تُخصَّصُه وبه تعلمُ: أنَّ حكمَ آيةِ الحجابِ عامٌّ؛ لعمومِ علتِه. وإذا كانَ حكمُ هذهِ الآيةِ عامًّا بدلالةِ القرينةِ القرآنيةِ.

فاعلمْ: أنَّ الحجابَ واجبٌ بدلالةِ القرآنِ على جميعِ النساءِ... ثم قال: وإذا علمتَ بما ذكرنا أنَّ حكمَ آيةِ الحجابِ عامٌّ، وأنَّ ما ذكرنا معها منَ الآياتِ فيه الدلالةُ على احتجابِ جميعِ بدنِ المرأةِ عنِ الرجالِ الأجانبِ، علمتَ أنَّ القرآنَ دلَّ على الحجابِ، ولوْ فرضنا أنَّ آيةَ الحجابِ خاصةٌ بأزواجِه صلى اللهُ عليه وسلَّم؛ فلا شكَّ أنَّهنَّ خيرُ أسوةٍ لنساءِ المسلمينَ في الآدابِ الكريمةِ المقتضيةِ للطهارةِ التامةِ وعدمِ التدنُّسِ بأنجاسِ الريبةِ، فمنْ يحاولُ منعَ نساءِ المسلمينَ كالدعاةِ للسفورِ، والتبرُّجِ، والاختلاطِ اليومَ منَ الاقتداءِ بهنَّ في هذا الأدبِ السماويِّ الكريمِ المتضمنِ سلامةَ العرضِ والطهارةَ منْ دنسِ الريبةِ غاشٌّ لأمةِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم مريضُ القلبِ كما ترى.... ثم قال: فالعجبُ كلُّ العجبِ، ممنْ يدَّعي منَ المنتسبينَ للعلمِ أنَّه لمْ يردْ في الكتابِ ولا السنةِ ما يدلُّ على سترِ المرأةِ وجهَها عنِ الأجانبِ. أضواء البيان (٦/ ٢٤٢).

وليس هذا موضع تقرير الأدلة ورد ما اعترض به عليها، وإنما هو تأريخ لهذا التشريع قرنته ببعض الفوائد.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
١٥٠٠ جنيه
لفترة محدودة

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com